

اُغنیۃ پوهیمیا

تألیف
کمال امین

دعوا الشموع تنوهج ..
واركوها تحترق بنور ما طع
إنزلا تحضر .. وتحاول عبثا
أن تقاوم بألهاب الحياة



مقدمة

الآن يا عزيزى القارىء ، أود أن أقدم لك مؤلف هذا الكتاب ، إنه لن يكون من هؤلاء الذين تحدث عنهم الأساطير ، فهو شاب نحيل طويل وكل ما يلفت النظر فيه جبهته العريضة التى تحتل رقعة كبيرة من وجهه ، وشعره الأسود الناحل ، وبشرته النحاسية وإن أنسى كذلك ان أقدم لك أنفه المستقيم الطويل كقنطرة عظيمة تخرق هضاب وجهه ، وعينه العسلية الضيقتين ونظرتهم الحادة القوية حيناً والمؤلمة الحزينة أحياناً . . قد تحسبه إنساناً متعالياً متكبراً فتتحول عنه وأنت ترمقه بنظرات مستخفة ، وقد تسوقك الصدف أيضاً لتجلس إليه وتختبره فتجده إنساناً رقيق القلب لا يضمرب خبثاً أو تعالياً . . ستجده كثيراً ما يشرد وتختطفه عوالمه البعيدة التى لا يمكن أن تبلغ مداها . . إنه يعيش سجيناً فى عالم الفكر وفى عوالم أخرى مظلمة قاحلة تختطفه من مباهج هذه الحياة . . قد يضحك ، ولكنك لن تعرف أن دموعاً تتدافع خلف عينيه . . فهو يعيش وحيداً مع الألم ، ممزق القلب قائماً فى ضروب حياته المتجهم . . إنى لن أثير شفقتك عليه فقد تعود أن يحتمل ويقاسى فى صمت ودون أن يشكو لأحد ، ولكن كان لا بد له من منفذ ينفث منه بعض آلامه فراح يسكبها فى كلمات على الورق معالماً مشكلة حياته المعقدة . . إنه لن يثقل عليك هنا بقصته سافرة ، ولكنه سيقدم لك شيئاً منها موزعاً فى كل قصة من قصص هذا الكتاب ، وستعرف معى أنك أمام شخصية معقدة .

عزيزى . . كم أتمنى لو أنه كان إنساناً آخر مجرداً من سلطان الفكر يقبل الحياة على أوضاعها وعلاقتها ، ولكن هكذا شامت له المقادير ، وليس له دخل فى ذلك ، فاقراء وحاول معى أن تصل إلى حل للغز نفسيته المعقدة ، وإذا صادفك التوفيق تكرم بمراسلتى عما وحدث ، عسى أن نجد علاجاً لصديق البغيض إلى نفسه ؟
(المؤلف)

لغة القيثار

(من الوصف التصويرى)

لم تسكد تحتجب الشمس خلف ثنايا الأفق حتى راحت تحوم على المكان
أطياف من الظلة الهابطة تكسو المرثيات بالغموض والإبهام بينما ارتفع
صوت الضفادع والهوام فى تهليل متكرر ترتل نشيد الظلام وتستقبل هجعة
الليل . . وبدأ قبس من النور يلمع فى أعماق الظلة المحتشدة كالأمل فى أحشاء
نفس حزينة .

وهذه أناشيد الليل تصعدها المياه الساكنة . وتلحنها الأشجار النائمة ،
كأنها صلوات سرمدية تتقدم هيكل الظلام المغمور . كم تعيش فيها من ذكريات
وكم تكفن من حوادث وأزمان ، وقد تمر عليها العصور وهى فى لحنها الخالد
الذى لا يتغير ، مزيج من نشيج وبكاء ، وضحك وابقسام وسعادة وشقام
يتنازعان . . . تلك الوحدة القاتلة التى تقضى على النفس . . . وذلك السكون
الذى يهدئها . . . تلك النسمة الرطبة المنعشة هى النسمة الباردة السامة ، تحمل
فى أطوائها الموت ، وتسوق طريقها إلى القبور . . . تلك المياه المتسلسلة
فى خريرها المحبوب ، هى الموجة الدافقة فى هديرها المشثوم ، هنا يجتمع
الأمل - اليأس ، والذكرى بالعبرة والحياة بالفناء .

وإذ يرتفع القمر بوجهه الضحكوك ، ويلقى على مسرحتها كشفاً من النور
يبدد الظلمة ، تلمس أشعته فيعان النفس المظلمة ، فيسطع فيها النور وتلمع
فيها الذكريات . . وهنا يظهر الفنان بشعره المنفوش ، ونفسه المعذبة وروحه
الجريح ، تائهاً بين أحضان الطبيعة الرحبة ، رافعاً أغانيه مردداً أمانيه ،
فلهذه الأشجار أغنية تدفى ثمارها وللأفنان لحناً يطرق أوكارها ، وتلك المياه
نغم يهوى إلى غمارها . . كم يحمل بين جنبيه من مشاعر ، إنه يحمل ما يثقلهما
وهو يورعها على كل السكائنات الصغيرة ، فلهذه الفراشة كلمة وتلك الزهرة

قبة ، وللسماء الزرقاء أناشيد يمازجها الفرح بالبكاء . . . قل لي أيها القمر
ما هذه الابتسامة التي ترتسم في محياك ؟ ! أهى سرور اللقاء أم فرحة البقاء
ولم انسكبت على الأشجار ولمعت وبرقت مع ساسيل الماء ؟ ! ولم طاردت ،
جحافل الليل وجيوش الظلام فولتك الأدبار ؟ ! هل تبحث عن حبيب لك
بعيد عنك فأطلت من عليائك على هذا السكون ؟ أين هو هذا الحبيب الغادر
الذي يدعك وحيداً وليس معك ؟ ؟ ولم لم يأت كي يطارحك الهوى ويملا
من شعاعك كأس الغرام ؟ ! فهل غابت عنه فتنتك أم أثقل النوم جفنيه ؟
سأرسل نغمات قيثارتى كي تطرق لك ذلك الدار وتلك النافذة عليها تجد
بغيتك الحائرة بين ضلفتين أو في ثغرة صغيرة يختلس منها النظر إليك . .
هل تذكر كم كانت متيمة بك ملهوفة بالشوق إليك ؟ وكم كانت تقف في
هذه الشرفة وأنت تهىء من حولها المكان وتلمع في وجهها وثرغها ، ما كان
ألذ من عناق ، ذلك العناق الحار بينك وبينها ، وكم نعمت بمشاهدتكما
متزاملين فكنت أختلس منكما فتي ، وأجدكما مهبطاً لشعري . . . ولكن . . .
انظر الآن إن النافذة لا تزال مغلقة والسكون يحيم على المكان ، أهو سكون
الموت أم كر الزمان ؟ وماذا وجد شعاعك الحائر وقد استطاع أن يقتحم
الشرفات ؟ ... أوجدها ؟ ... أم وجد طبقات من النسيان قد تراكت على
الحوائط والجدران ؟ ... وهاهى أنغامى الحائرة ترتد إلى بعد أن جابت
من أجلاها الوديان والقيعان ، وهاهى وقدة الجوى تستعر في القلوب
والوجدان ونفسى تذوب وتصعد في أنغامى حزينة باكية يتقطر منها
الدمع ويصرخ بها الألم ، فأين منى ومنك طلعتها البهية وقد أوصدت
عليها المنافذ فلم تعد تبدو منها لحة ، فيا لهذه الجدران الصماء ، ويا هذا البناء
الأيكم . . . أين ذهبت ؟

لقد هجرت المكان والزمان وتركت وكرها الجميل تحوم حوله الخفافيش

فاين ابتسامتها المشرقة كي تجلو صدأ نفسي ؟ وأين حنانها كي يدفىء قاي
المقروور ؟ وأين العطر الذي كان يملأ الحياة بهجة وأناشيداً ؟ لقد مرت الأيام
تجر ستارها على الذكريات ، ولكن عاصفة هوجاء تجتاح نفسي وتجتاحتها
دائماً ، فتكشف عنها الستار ؟ وما أنا أعلق أنغامي في جو المكان عله يصل
إلى ذنبيها . ويحمله النسيم إليها رسائل حب ووفاء .
وينسحب القمر وفي وجهه شحوب ، وفي عينيه دمع يترقرق ، لأنه
يرسل للكون نظرات تائهة ، ثم لا يلبث أن يختفي تحت الأفق ويذهب
في رحلة بعيدة . . .

أغنية بوهيميا



تبدو كغزال نافر في دثار شفيف ، تفرع بيدها رقاً فترى يدها صاعدة
تفرع الرق المستند إلى صدرها ، نازلة ترتكز على ركبتيها العارية ، وكأنها
تؤدي صلاة عميقة أمام هيكل مقدس ، تلمع حولها آلاف من الأضواء
الخاطفة تعكسها قطع صغيرة من المعدن المصقول موزعة في رقعة ثوبها ،
وهي تملأ من السني المتلألئ كأساً تلو الكأس وتجرحها عامرة مترعة ، فتلمع
الفضة المنسكبة في ثغرها ، وتماوج السبائك في جدائل شعرها ، هاهي ترقص
نشوانة تدور خفيفة على أطرافها ؛ تلفها الأضواء تارة وتحجبها الظلال
أخرى ، وهي إذ ترفع وجهها للنور يقبلها وصدرها للسماء تباركها . . .

إلى أيها النغم الرفيع ، وحرك منها سيقانها العارية ، واملأ بالنشوة
شبابنا المزدهر ، واصدح فينا بالربيع ، وهي ترقص فتضرب الأعشاب
النابتة على شاطئ النهر الساذج المنير ، فينعكس خيالها على مياهه المهددة
وترسم لها صورة حية .

تعالى نرفى أعالى الأشجار ، ونشارك العصافير لغة الأطيّار ، ونبنى لنا
عشاً نذّبه بالحب وبدعمه بالجمال . . أعطى يدك البضة الجميلة واطركنى أقبها
قبّلات ، ثم آخذها وأسمو فوق صفوف السحاب وكتل الغمام ، ونصبو
أرضاً جديدة نجتلى ما فيها من إبداع ، ثم نبني لنا عالماً مليئاً بالآمال سعيداً
بالأحلام وتكونين لى وحدى وأنا لك وحدك . . . أنظري إلى عيني
ألا ترين فيهما حي ؟ . . واسمعي كلّى . . ألا ترين فيه التهاب عاطفتى .

جردى نفسك عن ردائك وهى لى كل مفاتيك . . لا تحرمنى ما أشتهى
ودعيني ألمس ما تحمّلين من ناضج الثمار ، ومالك من يانع الورود والأزهار
وما فيها من شهد ورحيق ، واطركى الأشجار الصامّة والطبيعة الساكنة
تسبل علينا من سكوتها ستاراً ، وتطوى ما تكشف لها عنا من أسرار .

ويحاه يا قلبي إنك تعيش فى عالم مفتون ؟ مليء بأنواع السحر فائض
بأصناف الجنون . وهى بين يدي وكأن الدنيا بأسرها فى يميني ؟ ولكن كم
أخشى أن تحطم الأيام برجى العاجى وأهوى إلى الأرض فيتحطم قلبي
وقيثارى . . .

قربى عينيك منى ، واطركى لى أن أغوص فى جو من الصفاء . . إني أرى
فى لحظك جنات من الحب وارفات ، تسطع فى سمائها أنوار الرحمة البيضاء .
ونغرد فى قبتها أغان كلها أمل ورجاء . . ولكنى أكاد أبتين بعيداً فى أحشاء
الصفاء غمامة قادمة . . ها أنا أقرب منها رويداً رويداً . . ويحاه . . إنها
كهوف ومغاور للشيطان ، يربض على مدخلها تنين الأناثية والبغضاء . . .
ولكن مالى أنظر هكذا بعيداً فأفقت من النعيم إلى الجحيم ، وانساق من هيكلك
الحب إلى مباءة الفساد .

أنفاسك العاطرة إذ تلفح وجهى تضرم فى قلبي أنونا من النار ، وشفثاك
تلك البرعمة الراية ، ما أحلاهما وما أعذب ما بهما من رحيق . ضعبيهما

في فمي ، واسمعي بلحظك والهيئتي بأنفاسك ، واسكريني من شهديك . . .
واسنديني إلى صدرك ، تلك جنتي الوارفة ونعيمى المفقود ، واطفئي اللظى
الملتهب في قراري المحموم . . . وعندما أفيق بعد هنيهة ، على صوت قرعك
الرنان بالدف والصيوان . . . تعالى زرفع للسماء أغنية ، نجوها حيرى في قبتها
فتطرق كل حجر ودار ، وتدخل الغرف السوداء الداكنة التي يقيم بها وحيد
فتسكب من شدوها على قلبه فرحة وتلمس قلبه المحزون بالشفاء .

(تعليق)

هى غجرية قايستها في قرية من قرى الريف ، شاءت الأيام أن أعيش
بها زمناً . . . كانت تشبه كثيراً في تقاطيعها الممثلة الغاتية هدى لامار ، قدمنى
إليها صديق بعد أن قص على طرفاً من مغامراته معها . . . كانت من ذلك
النوع الذى لا يحفل إلا بماهى ومتع الحياة . . . فكانت زهرة برية تفتح
قلبها لكل حشرة ، وتنشر عيرها إلى أقصى ما تستطيع ، فلم أحفل بها كثيراً
إذ كان شعورى بالظما الروحى يقف بينى وبين مطالب الجسد التي كانت
على استعداد أن تليها دون ثمن ، ولكنى كنت أحلم بالحب العميق المبني على
التضحية ، ذلك الحب الذى يمسح آلام النفس المعذبة ويشفى جراح القلب
الكليم . . . وذات أمسية كنت خلف نافذتى أرفع للبدر المكتمل انغام
السرنيذ وهو يسكب نوره الوديع على الحقول الخضراء المنبسطة وفوق
اشجار النخيل الراقصة الحاملة . . . كنت أرفع انغامى إلى المجهول ، وإلى الفراغ
الذى تطويه تلك الرياض المستسلمة للسكون ، وأنا اشرف عليها من عل
وبغته دقت النافذة حصاة صغيرة لم احفل بها وأنا مستغرق في نجواى ،
وتكررت قوية واضحة ، فنجيت القوس عن الاوتار غاضباً تلك الدعابة
السخيفة ، وانحنيت على حافة النافذة اطل على الطريق الضيق الصغير

وجدتها في لباسها الترتري اشقيف ، ورفعت إلى وجهها الجميل بعيونه الوادعة
وابتسامته المشرقة وسألت ان اعزف لها لحنا راقصا ، فوقفت في نافذتي
متردداً فقد كنت اخشى التقاليد ، واخشى التقولات والتخرصات ، إذ كنت
إنسانا نظيفا طاهرا لم تدنسه الحياة بعد ، ولم تلطخه ادرانها ، وكدت ارفض
وانحيت من جديد على حافة النافذة لأبلغها قراري ، ولكن عيناها سحقتا
عزيمتي . . . كان فيهما ذلك التوسل الملهوف والرجاء المتسائل الذي سرعان
ما ردني إلى الداخل لأعزف بكل أعصابي اللحن الراقص (رقصة بديعة)
ووثبت هي إلى حائط الحقل المتأبل اللبني ، وراحت تثب في خفة الجداء ،
تثنى جذلة نشوانة ، كما جاء في مقال السابق ، وأحسست يدا قاسية تعصر
روحي ، فقد كان جماها خلايا ساحرا ، ولكنه كان في رأيي رخيصا مبتذلا ،
فلم أشأ أن أنزل من برجى إلى أرضها الندية ، وظللت دائما أحلم بها وأتمناها
وحالت بينها وبينى مثل العليا التي قامت عليها حياتي . . . وكانت هي ترجو
وتتوسل إذ ظنت أنى قد أكون رائدها الذي يستطيع أن ينتشلها من بيئتها
الوضيعة ويقدمها إلى المسرح . . .

كانت ريشة الزمن البارعة تضفي على شبابها الطليق كل يوم جديد ، وأنا
آكلها بنظرة الجائع المشتهى حتى إذا قاربت غابتي سارعت إلى الفرار ، ونما
في قلبي المتعالي مزيج من الخوف والحقده والاحتقار . . .

سرعان ما زفت امرأة مشتهاة في مثل جماها ، ورحلت أرقبها من شرفي
وهي ترقص مع فتيات العائلة على حصير كبير مفروش ضرب الرجال حوله
حلقة ، يدقون الطبول أو يزمررون تحت النخلات المتأنقة المتسامية ، ورفعت
هي إلى وجهها ، وراحت ترقص رقصات جامحة خلعت فيها ألسنة اللهب ،
وخلعت فيها العاصفة الهاججة ، وخلعت فيها الطائر الذبيح فانثنت إلى الداخل
لأنطوى على نفسه ، وأسمح لقطرات الأسى المرة أن تقطر في أعماقي .

وهكذا رحلت (؟) عن ذلك المكان لتخلف وراءها فراغا مملا موحشا ،
رحلت أجوب أطرافه أسائل الزهر وأسامر النهر وأعانق النخل والشجر ،
ولكنها رحلت دون رجعة ، وأصبحت في خبر كان .

إن النغم ليعود وحيدا مريرا يشكو ويبكي ويتألم والأيام تمضي ونعبرها
نخلوها ومرها ، والأمس لن يعود . . .

كنت أرقب فتيات القبيلة وهن يرقصن فلم أجد لإحداهن جسدها
المدن بل وفيها الرفيع وسألت زوجها قارع الطبول عنها فابتسم ابتسامة
ساخرة وسأل

— ماذا تريد منها ؟ . . قلت وأنا أشعر بالمرارة

— إنه الشوق يا صاحبي . . . ألا تعرفه ؟ فهمس ساخرا

— كانت بين يديك فإذا فعلت بها . . ها ها . . ماذا فعلت بها ؟

— لا شيء . . لا شيء . . . ولكن خبرني . . أين ذهبت الآن ؟

— بعثها يا صاحبي انظر . . . ومد يده إلى صدره وأخرج حزمة من

الأوراق المالية ، وابتسم عن أسنانه الصفراء وهو يدهسها في صدره من
جديد قائلا :

— هذا هو الثمن يا صديقي . . ودوت من جديد ضحكاته الساخرة . .



متحف الذكريات

سكون مخيم يتمطعه بن آونة وأخرى صوت اصطدام الحديد بالحجر ،
وعصوت تنائر قليل من الشظايا ، ونقترب رويداً رويداً من مصدر الصوت
ونحن نجوب حجرات الدار المنسقة والتي تزين جدرانها بمجموعة من الصور
والرسوم والتماثيل الجميلة .

نحن الآن في دار المثل نادليو ، وهو الآن في منحنه يخرط فيه أروع
التماثيل التي طبقت شهرتها الآفاق وجعلته نارا على علم ، ها هو مكب على
نحت قطعة من الحجر يخدشها الحين بعد الحين بآلته الحادة ، إنه هيكل بديع
من هياكل الفن ، وهذا تمثال بديع غريب يمثل الهموم وهي تحط على رأس
عذراء جميلة فتشتتها بين الحزن والألم وبثقل رأسها الخليل .

ليس كل ما في المكان أحجار وتماثيل بل أمامه تحت الضوء الخافي
الضعيف جلست فتاة مطرقة هي الموديل الذي ينقل عنه الفنان تمثاله . . .
ولو أجلت عينيك بين تلك المجموعة الكبيره من التماثيل المتراسة في أوضاعها
المختلفة وتعابيرها المتباينة لرأيت فيها كلها صورة طبق الأصل من هذه الجالسة
الشعر الطويل المموج . . . والعينان المعبرتان . . . والفم الجذاب الصغير
والوجه الذي تتفجر منه الحياة ، إنها كلها مطبوعة على هذه الدمي حتى إنها
لتكاد تختلج نابضة حية ، والأستاذ الكبير يقوم بنحته الصامت وهو يرسل
إلى موديله نظرات خاطفة لا يلبث بعدها أن ينكب على عمله الرتيب . . .
وتمضي لحظات تتملأ بعدها الفتاة ، ثم ترفع عينيها وتحول وجهها متنهدة
ثم تسأل :

— ألم تنته بعد يا أستاذ ؟

— كلا بعد يا بروننا ، ولكن انظري . . . أليس لعينه نفس عينيك ،

ولرأسه نفس شعرك هذا الخليل ، . . . بل ونفس الديرين الصغيرتين ، حتى
أكاد أخال أنك قد سكنت فيه . . . وراحت الأخرى تمنع النظر في التمثال
ثم قالت :

— حقاً إنه نسخة طبق الأصل مني . . . ولكن . . . إلى متى سأجلس
هكذا أمامك وأنت تنحت لي التماثيل ؟ ! فسأل مندهشاً

— وهل يضريك يا عزيزتي أن أخلع شيئاً من جمالك على هذه الأحجار
فتصير بكل هذا الجمال ؟ ! فرفعت عينيها المولمتين وقالت

— إني أغار . . . وكم أغار وأود يوماً لو أحطمها جميعاً ، فيتسم ابتسامة
يسيره ويسأل

— وكيف ذلك وهي كلها لك تخليداً لجمالك ؟
— جمالي ؟ ! إنه فقط على أحجارك ، وما أنا إلا أقصوصة من الورق
تنقل عنها أصنامك

— كيف تقولين هذا الكلام يا عزيزتي وأنا ما كنت بعمل هذه التماثيل
منذ البدء إلا تخليداً أو تقديراً لجمالك فأجابت بحدة

— دعك من جمالي ، فأنا لا أساوي أمامك واحداً من هذه التماثيل
— ومن أدراك بذلك ؟ إنك تساوين عندي أشياء كثيرة لا يمكن
حصرها ، ويقترب منها ويأخذ يدها ثم يقبل خدها الناعمة ويسأل بحنو
— ماذا تريد مني ، أنا على استعداد لتلبية طلباتك وكل ما تريد
فتطرق هنيهة ويترقق الدمع في عينيها ثم ترفع وجهها وتنظر إليه بعينيها
الحلوتين قائلة :

— لا أنكر إنك قد حفرت لي الكثير من التماثيل . . . ولكن . . .
أنا قد حفرت لك أكثر ، فيسأل مندهشاً
لي أنا ؟ ! أين وكيف ؟ ! فأجابت بحزن

— نعم لك . . . ولكنك لا تعرف لأنك لا تراها ، بل تأتي أن تراها
إنها ليست مثل تماثيلك من حجر لا يحس ، ولكنها تماثيل من لحم ودم ،
وفي أظھر مكان خلقه الله ينبض في جوف الإنسان ، وحينئذ يتسم
ساخراً وقد تلبجت أمامه الفكرة فيقول

— أقصدين أنك تحينني ؟ ! فلم تجب وظلت في إطراقها الحزين
فيضحك ويقول

— الحب . . . ما أصغرك يا فتاتي على هذا الحب ، إنك لا تفهمين معنى
الحب هذا لأنك مازلت طفلة فتحكمن على مشاعرك

— كلا كلا لم أعد طفلة لأنني أحبك بل وأعبدك وخيالك لا يفارقي
آناء الليل وأطراف النهار ، إني أكاد أجن وأنت لا تشعر إني أكاد احترق
وأنت لا تهتم وكل ما نراه هو تماثيلك الصماء المتحجرة .

— صبراً يا فتاتي صبراً فمن أدراك بكل هذا الكلام ؟ . . . أوكد لك
إنك صغيرة على هذه الأشياء وستأتي الأيام وتعلمين إني كنت على صواب ،
انظري . . . إن أمامي مجداً أرمقه ، وعندما أبلغ القمة وأدركه ستكونين
قد اكتملت واستطعت الحكم على عواطفك وهنا . . . سأمد يدي
وأصعد بك القمة فلم تتعجلين ذلك اليوم الذي يخيل إلى أنه قريب ؟ ! . . .
جفني دمعك واسعديني بإتسامة تشرق من ثغرك

— هاللو برونّا ، أين كنت طيلة اليومين السابقين ؟

— كنت في زيارة أمي بالقرية كما تعلم

— لقد كانت زيارتك لها في العادة قصيرة فلم استغرقت هذه المرة طويلاً ؟

— حدث أمر هام

- خيراً . . ما هو ؟

خبر لا يهتمك في كثير أو قليل على أى حال

- كيف تقولين ذلك إنه يهتمنى أن أعلم عنك كل صغيرة وكبيرة

- حسناً إذن . . . طرق دارنا من يطلب يدى

- يدك أنت !

- ولم لا ؟

- ولكنك ما زلت صغيرة . . . ! !

- ربما ، ولكن والدتى وافقت وستجربى فى القريب مراسيم الخطوبة

والزواج

- أحقاً . . . هذا عجيب لم أكن أظن أن الأمر يتم بمثل هذه السرعة

وحينئذ يشعر بشيء من الأسف والندم ، ويمسك بيدها سائلاً

- ولكن . . . لم تتعجلين هكذا ؟

- إن الأمر ليس بيدى بل بيد والدتى

- وهل وافقت أنت على هذا الزواج ؟

- بالطبع وبخاصة لمثل هذا الشاب الجميل . . .

فيغرق فى تفكير حزين طويل . . . ستفارقة هذه التى ملأت حياته

واعاءاته فى فنه وتفخت من روحها فى روحه ولكن اليست هى

تريد ذلك ؟ فليكن ، إن امامه طريقاً لم يقطعه بعد وبعده سيفسكرك فى

الزواج . . . وأخيراً يرفع رأسه قائلاً :

- حسناً هذه أخبار سارة وأتمنى لك حياة سعيدة ، فتقبل

تهنئته باطراقة بائسه وهى تلعب بأصابعها فى جريدة موضوعه على مقعد

بحوارها ثم لا تلبث أن تقع عينها فيها على شيء هام ، وترفع الجريدة بين

يديها وتنظر إلى صورة فيها بحده ثم توجه حديثها إلى بادليو المطرق وتسال

— أهذه صورتك يا بادللو ؛ فيوميء إيجابا بينما تنابع هي التطلع في
الصحيفة وتقرأ — صورة المئال العظيم بادللو الذى وضع تمثال النائمة
وفاز بمدالية الشرف الكبرى واحتفظ المعهد الفنى بتمثاله كتحفة خالدة ،
وأخيراً تبسم وتقول .

— أهنتك يا أستاذ ألا تذكر كيف وضعنا ذلك التمثال ، وكيف كان
عمله سهلاً جميلاً ، ... فأوماً باقتضاب وهو يشعر فى قراره بهم ثقب ، بينما
استلت هي قائلة .

— ها أنت تصد بخطوات سريعة إلى المجد الذى تبغيه وأنا أهنتك كما
هنا أنتى الآن ... ، ورجأة ... ينظر إليها متبرماً ويقول .

— برونا بربك إذهبي الآن واتركيني ، أريد أن أدخل إلى نفسى ،
إذهبي وعودى فى أى وقت آخر وستجدينى فى انتظارك ...

إنه قد وثب وثبة واسعة فوق سلم المجد ، وكان عليه أن يسر بهذه النتيجة
التي كان يجاهد من أجلها كل هذه السنين ، ولكن شيء فى نفسه يبكى ، ودمع
حيس يتدافع خلف مقلتيه ، وروحه حائرة حزينة ... فهل أحزنه فراقها
وذهاها ؟ ... وهل كان يحبها ؟ لقد كان يظن أنه يحب الفن الذى كرس له
حياته ... ، ولكنه الآن بدأ يجادل نفسه فى هذه الحقيقة ... هل أحبها أم
أحب تماثله ؟

وقام إلى منحته يتأمل التمثال الأخير الذى لم يتمه بعد والذى كان يدعو
غيوم ، وأمسك بأزميله وراح ينقر الحجر الصلب فتقناثر شظاياها على الأرض ،
وهو يصوب عينيه الحين بعد الحين إلى المقعد الشاغر الذى كانت تحتله
برونا من قبل يستوحيه ويستلمه .

وأخيراً وقبل أن يضرب بياض النهار كان قد انتهى من تمثاله فأستط
أدوانه إلى الأرض واستلقى على مقعد خشبي وراح فى سبات عميق .

تمضى الأيام واسم بادليو يزداد لمعاناً فقد فاز تمثاله غيوم في مسابقة النحاتين بالجائزة الأولى ، مما جعل الصحف تتسابق على ذكر حركاته وسكنياته وبدأ يشعر بعض السعادة في غمرة النجاح والشهرة والمجد العريضين ، ولكن ... الأيام تمضى ... وقد عرف الآن بالمثال العظيم ... ثم تهدأ العاصفة التي قامت حوله ، ويبدأ يفيق من نشوة الانتصار ... نال كل ماتمناه ولكنه كان دائماً يشعر بالنقص والعجز وكان هذا الشعور يستيبد به كلما إستسلم للوحدة أو العزلة ، ولكن الآن عليه أن يقدم تماثيل جديدة تمثل تقدمه الفني واضطراد عبقريته المتفوقة ... ، فدخل منحته وبه رغبة إلى العمل ولكن ما تكاد عيناه تقع على مجموعته من التماثيل المنحوتة حتى يرفع يديه إلى وجهه يحجب بهما عينيه ... ، ويصرخ من أعماقه برونا ... وتعود به الذكريات ... بل يكاد يراها جالسة ... شعرها الطويل المهدل ... العينين المعبرتين ... الفم الجذاب الصغير والوجه الذي تتفجر منه الحياة ... إنها ذهبت ... ذهبت ولن تعود وتهس كلماتها في أذنه ... إنك تصعد إلى المجد بخطوات سريعة أهنتك ... أهنتك .

وأخيراً يرفع يديه عن عينيه ويتأمل تماثيله ... فهذا الهاضاحكة ... وذاك لها باكية وآخر لها سعيدة ... ، وتماثيل لكل حاجة خلجاتها فيقف بينها هلعاً ... يحاول عبثاً أن يحمى منها نفسه وروحه المعذبة ... لقد استطاع أن يحتفظ بجسد فتاة أحبها ، ولكنه لم يستطع أن يحتفظ بروحها المرححة الجميلة التي كانت تملأ حياته هناء ، وراح يتحسس التماثيل الصلبة الرطبة ... وفجأة يحجب وجهه بيديه عنها صارخاً رباها إنها أحجار لا حياة فيها فقدت من أجملها امرأة كلها حياة وشباب ... وتفيض به كوامنه وهو مع كومة من الذكريات فيكي وينادى برونا ... برونا ... لم ذهبت ؟ ... أمن أجل المجد الذي كنت أرجوه ... خذى كل مجدى ... بل كل ما أملك وما أحوى وعودى إلى وردى الحياة إلى كل هذه التماثيل التي تحبك ...

وفي نوبة من الجنون ... جنون الحب الذي يرح بالقلوب الفئانة
الرقيقة فيمزقها ... قام وسافر إلى قريتها وهناك قرب دارها وقف يتأمل
منزلها بين رقايع من الخضرة والحياه والزرقاة الصافية ، ثم يقترب وهو يشعر
أن قلبه يكاد يسبقه إليها .. ولكن الدار كانت ساكنة وكل ما فيها هادئ
واقترب من طفل صغير يلهمو وسأل :

— كيف حالك يا بني ؟ فأجاب الصغير

— بخير

— أين برونا ؟ ... هل هي مزجودة بالداخل ؟ فأجاب الصغير

— برونا ... لا .. لقد رحلت إلى تاي مع زوجها ... شعر بالأرض
تميد تحت قدميه والسماء قد أغلقت في وجهه وسار مرتدأ وقد أثقله ألم
فظيع ، ألم فنان فقد فنه ... وحياته ... وأمله .

ما أتى الطريق إلى المجر وما أتى الساي على قلب يحب

نفر تيتي (الماتنة الحزينة)

تزوجت من أخيها وصارت ملكة على مصر... ولما
فرق بينهما الموت أصبحت أشقى امرأة في العالم القديم :



في ربيع عام ١٩١٣ إنخني البروفيسير لدوج بوكاردت المنقب الألماني
بمهير تحت وهج الشمس الملهب، وخلل أصابعه حبات الرمال الفضية اللامعة ،
يظهر للنور تحفة ثمينة نادرة لم يعرف لها مثيلا في التاريخ القديم .
بين أطوار مدينة إخناتون المقدسة المعروفة الآن بتل العمارنة ، على الشاطئ
الشرقي لنهر النيل ، وعلى مبعده ١٩٠ ميلا جنوبي القاهرة ، عثر بوكاردت على

تمثال حجرى ملون للملكة مصر نفرتيتى ، بالغ الروعة والألقان ، ظل مدفوناً ما ينوف على ثلاثة آلاف وخمسمائة عام ، وكما قال عنه بوكاردت أنه أجمل ما لمست يداه طول حياة .

ولم تبلغ شهرة جمال تاريخى قط مثل هذا الإستحقاق التام الذى للملكة الحزينة .
والاسم نفرتيتى معناه (الجميلة قادمة) ، لقب كان من الممكن أن تداول حقيقته الظنون ، لو لم يقم الممثل البارع بالتدليل على صحته .
تلك الملامح المنحوتة لامرأة فائقة تطوى معنى عبقرى يعبر عن لحظة حزينة تفيض بها نظراتها المستعطفة ، وأظهرتها براعة التصوير مدهشة لا تقارن .
وحياة نفرتيتى الخاصة تعتبر من أعظم مآسى التاريخ .

كانت نفرتيتى فتاة رشيقة حية ، ولم تسكد تبلغ الثامنة من عمرها ، حتى عزم والداها المتربعان على عرش مصر تزويجها من أخيها ووارث العرش الذى كان فى ذلك الوقت صبياً فى الحادية عشر من عمره ، وقد كانت تلك الرابطة لزوجية بين الأخ والأخت مألوفة فى ذلك العهد القديم .
واحتفل بقران الطفلين البريثين ، قبل وفاة والدهما المحارب العظيم أمنحتب الثالث الذى خلف العرش وهو على قمة النجاح والنصر ، إلى صبي هزيل مريض وإن كان متفوقاً فى علم اللاهوت وفى معرفته الثامة بطبائع أخته الصغيرة .

غرام حار

كان إحتياج الأمر إلى إيد قوية للقبض على صولجانات الحكم فى الامبراطورية المترامية الأطراف ، ينغص أحياناً حياة الصغبرين ، وممرت الأيام ، وكبر الطفلان ، وأخذ يحجب كل منهما الآخر بزداد حرارة ، حتى أصرته هبة الملك إلى إيمان ... ولأول مرة فى تاريخ العالم القديم نجد ملكاً إحتلت نفس المسكنة التى للملك .

سرعان ما ترعرعت نفر تبتى ، وأصبحت ذات جمال عظيم وراحت تبت
فى زوجها حاجة البلاد إلى إصلاح دبنى ، لما قاسته البلاد من جور كمنه الآله
امون الاقوياء منذ أكثر من أربع آلاف عام .
وكانت الديانة الجديدة هى عبادة الآله القوى آتون (قرص الشمس)
ونشر الحب والسلام فى جميع أرجاء الأرض .
وباشر الفرعون الشاب وأخته طقوس دينه الجديد فى الخفاء ، متحاشيا
عادة تسجيل الانتصارات الحربية ، التى كانت تحفر على حوائط المعابد والقبور
، التى كان يرسم فيها فرعون فى أوج جماله وابهيته ، مع أسراه وأسلابه ، وطلب
أن تكون لوحاته صوراً صادقة من حياته فيبين المثالون مشاهد للعائلة وهى
تلعب أو تأكل أو تنشمس تحت أشعة الشمس المحيية التى تمثل إلههم الجديد
آتون .

الحياة فى الحق

فى السنة السادسة من حكمها ، غير الملك امنحتب الرابع (راحة آمون)
أسمه إلى اخناتون التى تعنى (بهاء قرص الشمس) ، ونسب إلى نفسه لقب
أنخنات الذى معناه (الحياة فى الحق) ، وحقر الملك آلهة آبائه واجداده ،
التي عبدت منذ أجيال بعيدة ، وخضع لتأثير المرأة ، فخرؤ على تصويرها بحجم
واحد معه وعلى قدم واحد من المساواة ، مما يعا إنما فى تعاليم الدين القديم
واحتقاراً لكهنوته الذين عملوا على دراسة دين الملك الجديد بقلوب مغرضه .
أما نفر تبتى فقد جعلها تشجيعها وإخلاصها لمعتقدات زوجها مكروهة
مرهوبة من المسنين

وتوجد الكثير من اللوحات البارزة مبهثرة فى جميع متاحف العالم ، تحمل
الذلالة على إخلاصها لزوجها ، وصورت فى إحداها وهى تحتضن زوجها ،

وأخرى وهى تقبله وهو يقود عربته الحربية الصغيرة ، وكثير غيرها عن
أسرار حياة الأسرة المالكة الخاصة وكان الاعتقاد المتقدم عن التأثير الطبيعي
للحب هو أصل الإصلاح الدينى الإخوانيون .

آلهة الفتنة الرشيقه

وانتهى إخوانتون إلى إحتضان زوجته علنا ، وأعلن كذلك عن حبه لها
فى الكلمات .

إن قلبى سعيد بالملكة ... السيدة الرشيقه الفاتنه ... عظيمه المحبة ...
جميلة الخلق والخلق ... التى يسكر صوتها قلب الملك .

ورغب الزوجان الملكيان أن تكون حياتهما مثلا يحتذى به ففرضا
تقديس الزواج والقربى .

بعد ميلاد طفلتهم الأولى كانت نفرتيتى فى عامها الخامس عشر ، قررا ترك
العاصمة طيبه وبناء مدينة جديدة تزينها المعابد ، تمجيدا لآلههم فاجحرا فى النيل
لإختيار مكان لمدينتهم ثم بدأ العمل فى الحال ، بتحصينه بالأسوار الحجرية
العالية ، وفى بحر عامين قامت مدينة من اللبن بجانب النيل سميت إختاتون
أو (مدينة الأفق)

وأقامت نفرتيتى فى سعادة تحوطها الخنائل الجميلة والحدائق الغناء ، التى
غرسها لها إخوانتون ليرضى نزعته حبها إلى النور والأماكن الرحبة المتسعة ،
وحول جدران القاعة الوسطى الكبرى علفت اللوحات الملونة الجميلة ، وكانت
حجرة نفرتيتى الخاصة مدهونة باللون السنجابى ، تزين حوائطها أقشة مطرزة
بالوان زاهية .

أما السقف فزين بالرسوم والنقوش وطعم بأحجار الفاروز والياقوت
والمرمر .

وكان المثال الملكي ينتظر الملكة كل صباح ، ليدرس ويختبر تقاطيعها ،
فيرقبها وهي نداعب أطفالها أو تشاهد الراقصات أو تقوم بنزهتها بين النباتات
الغريبة في حديقتها ، حتى تشبع خياله بجمالها ، ووجد نفسه قادراً على أن
يعكس تقاطيعها لتخلد على قطعة من الحجر .

ومرت السنون على الزوجين الملكيين وولدهما ستة أطفال آخر ، كن
جميعاً من الاناث فخبب ذلك أمهما في أن يكون لهما ورثا للعرش .

فجيعة مبكرة

لم يكن إخناتون قط صحيحاً ، وظل دائماً يعاني من آلام وأمراض غريبة ،
حتى إنهارت صحته تماماً تحت ضغط إيمانه الأعمى وإندفاعه بعقيدته الجديدة ،
وأصبحت رسومه قريبة من الكاريكاتور... حجمه مستديرة غير متقنة ،
وفك مستطيل وعظام بارزة نحيلة ، ومعدة منتفخة وملاخ بشعة مخيفة ، وعانى
من التشنج العصبي سنوات عديدة ، ومع كل هذا ظلت نفرتيتي تبعا يفيض عليه
رقة وحنانا .

وأخيراً وقبل بلوغه الثامنة والعشرين ، مات إخناتون تاركاً ارملته في زهرة
شبابها وفتنتها

لم تفق نفرتيتي قط من صدمتها ، وقصت جدائل شعرها الثمينة وألقتهما
على جثة زوجها ولبس البلاط ملابس الحداد ، وغطى تمثال الملكة الذي كان
يقوم بصنعه المثال حيث ظل في مكانه

واسترد كهنة الديانة القديمة قوتهم ، وردوا العاصمة إلى طيبة ، وتركت
التحفة النفيسة لتحفظ في الثرى خمسة وثلاثون قرناً ، حتى أزال أصابع
بوкарدت الاتربة من فوق ملامحه الفاتنة ، وظهرت ألوانه المنسجمة تلعب كأنها
لونت بالأمس فقط... لم يعرف المكان الذي عاشت فيه نفرتيتي بعد وفاة
زوجها وظلت خاتمة مأساتها سرا يطويه التاريخ .

وكشف عن الكثير من اللوحات البارزة ، في أطلال (مدينة الأفق)
تحمل جميعها الشهادة لجمالها ، الذى طبقت شهرته الآفاق ولكن ما زال تماثيلها
الحجرى ، تحفة تأخذ بلب كل من رآها إذ يخيّل للناظر إليه أنه أمام نفس حية
تكاد تلفظ وتكلم وتعيش .

تأثير عجيب

لهذا التمثال تأثير خارق عجيب ، لازم كل من رآه منذ اكتشافه ، وقد عرف
بوكارديت قيمة كشفه منذ الوهلة الأولى ، فعمد إلى تهريبه إلى برلين ، دون أن
يرجع إلى الحكومة المصرية .

ولشهور عديدة ، منعت السلطات الألمانية تصوير التمثال ، خوفا من
مطالبة المصريين به ، ولكن براعة التمثال المتفوقة وجمالها الأخاذ الذى لم يوجد
مثلهما فى الفن القديم ، كان له صوت داو فى كل فن من فنون أوربا ، وتأثير
بعيد فى دراسات العالم التاريخية .

وفى عام ١٩٣٧ أفتن أدلف هتلر بالتمثال ، وكان يقضى الساعات وهو
يدور حول قاعدته ، فى قسم المصريات بمتحف براين يدرس ويختبر تقاطيعه
الجذابة ، ولكن ما لبث أن قطع عليه هويته خطاب من الحكومة المصرية
يطلب فيه بعودة التمثال ، وقال هتلر أن نفر تيتى قد إحتلت فى نفسه مكانة
الزوجة ، وعلى ذلك لن يستطيع إرسالها .

فى المنفى

فى عام ١٩٤٦ كانت فصيلة من الجيش الأمريكى ، تقفش منجم ملح مهمل
فى ثيرنج ، فعثر أحد الجنود على قفص مكسو بالخيش ، فى حجرة منعزله
فنزع عنه الخيش ، وبحث ما به من قش ، فعثرت يده بالتمثال الفريد ، الذى
بلغت حياته ثلاثة آلاف وخمسمائة عام ، وسرعان ما أبقى وزير خارجية مصر

بتعليماته إلى عمرو باشا وزير مصر بلندن كي يسأل الحكومة البريطانية معونتها في الحصول على التمثال ، كما قام الوزير المفوض المصري بوشنطن ، يبحث المسألة مع السلطات الأمريكية بثا مستفيضا ، وأبانت السلطات الأمريكية ، أنها لا تستطيع إعادة التمثال لأن فقدته لم يكن بسبب حربى ، وتركت الأمر إلى أن تقوم حكومة ألمانية ، يحق لها أن تبت في هذا الموضوع .

وجدد المصريون طلبهم ، وقدموه إلى الدكتور ادنيرز فيدرال ممثل الحكومة الألمانية

وحفظ التمثال في قسم الفنون الجميلة والسجلات ، بمتحف الولايات الجديدة في هيزن ، ووضعت عليه حراسة دائمة من البوليس الألمانى ، والقوات الأمريكية ، وهكذا يعيش تمثال نفرتيتى الآن فى المنفى متسببا فى مشكاه دولية ، ولكنها تستقبل كل أسبوع ما يقرب من خمسة آلاف نسمة ، جذبتهم فتنة امرأة إستغرقت الأحقاب الماضية .

مر الرمل بنراعى أمام فتنة المرأة الجميلة

الروح الخالدة

لم يكذب جرس السفينة ، معلنا وصوانا إلى ميدان كاليه ، حتى وثب كل منا إلى ظهر الباخرة ، يرقب الميناء وهو يقترب رويدا رويدا ، وهرعت إلى حجرتي أستبرل حلق البيضاء ، بغيرها نظيفة ووقفت أرقب خيالي في المرأة ؛ فطالعتني قامة مديدة وسحنة خمرية وشعر أسود فاحم وعينان عسلتان ، وشعرت بالارتياح والغبطة عندما وقعت عيناى على الشريطين الأزرقين على كسفى ، اللذان يعينان منصبي كضابط بحرى ووضعت يدي أتحمس رزمة الأوراق المالية ، التى ادخرتها من مرتبى ، ولا تحسبن إن البحار محب للأدخار ، واسكنه يدخر فى رحلته البحرية ما يشبع شوقه إلى البر بكل متعة وملاذة . . . وبعدها إرتقيت السلم إلى ظهر السفينة الذى بدأ يزدهم بالبحارة والركاب ، ومررت فى طريقى بغرفة الإستعلامات وكان يعمل بها صديق قديم ، وجدته واقفا خلف حاجزها ، وقد أطل من عينيه شوق غريب ، وهو ينظر إلى الميناء والمدينة القريبة فسأله باسم :

— ماذا وراك يا أبا الحصين . . . هل سترسو هنا (ست الحسن)

طويلا ؟

— نعم فقد أبلغنى القبطان أنها قد تظل هنا أسبوعا فى انتظار شحنة سنقوم بنقلها إلى دوفر .

— حسنا . . . إذن سيمكننا أن نقضى هنا وقتا طيبا ؟؟

— ولم لا . . . ألم نصل إلى البر الذى نحن إليه ؟!!

وكانت السلم قد أدلت وازدهم الركاب والبحارة على رأسها ، فالتفت

إلى صاحبي مودعا .

— حظاً سعيداً يا أبا الحصين

— حظاً سعيداً يا كابتن حسون

وكأية ميناء كبير ، تملؤه الميادين الفسيحة والمباني الفخمة والشوارع المنسقة ، راعى نظافتها وفخامتها وتألؤ أنوارها ، فرحت أنتقل فيها من مكان إلى مكان ، وعبيت من مشاربها الكثير من البيد المعشق حتى كنت قدماى ، وبدأت أحس بدوار خفيف فقصدت حديقة هادئة ، ثم جلست على أحد مقاعدها أقلب صحيفة فى يدى ، وبعد هنيهة تقدمت منى فتاة رشيقة جميله ككل فرنسية وسألت :

— هل تسمح لى بأن أشاركك هذا المقعد ؟ فأجبت :

— بكل سرور ... جلست على الأريكة بجوارى بينما استأنفت تصفح الجريدة التى بيدي ، واضطجعت زميلتى على ظهر الأريكة فى وضع مريح ، ورفعت عينيها إلى السماء ترقب الغيوم المتلاحمة ، وبعد لحظة بدأت تغنى ، وفتحت أنا اذنى التقط الكلمات الحاملة التى تغنى بها .

أذكر يوم قابلته بين الأشجار : . وكانت الأشجار لنا ستار ...
وأرعدت السماء وأبرقت ... فهذه سماء فرنسا المتقلبة وراحت تنهمل
الامطار الباردة ... فيكنت أرعد كالطائر المبتل ... وجأه رأيت يتبعنى ،
وهو لا يحفل بالمطر المنهمر ... وهتف من خلفى ياملاكى لم تنفضين ...
ووقفت أنظر إليه وأسأله عما يريد ، ولكن نظرة من عينيه فتحت أمامى
الطريق إنى أذكر دفء شفتيه وهما يسحان شفتى وأذكر قوة
ذراعيه وهما يضمانى إليه ... مازلت أذكر وسأذكر يوم لقاه بين
الأشجار

جعلنى صوتها الهادىء الحزين ، أحلق فى عوالم بعيدة عوالم لم أدركها
من قبل ، ونظرت إليها وهى ما زالت تتأمل الغيوم وقلت :

— عفوا يا آنسه أن اقطع عليك تأملك العزيز ، ولكنى أود أن أؤكد
لك أن صوتك أشجى صوت طرق اذن ، وأغنيتك أرق أغنية سمعتها
فى حياتى ، فابتسمت سائلة :

- هل أعجبتك حقا يا سيدى البحار ؟
- كيف لا إني لأود أن أسمعها كل دقيقة فى حياتى حتى أدرك ذلك السمو الذى بلغته مع غنائك .
- أشكرك يبدو لى انك رقيق العاطفة !!
- جدا جدا يا آنسة فإني من أبناء الشرق العاثر بالعاطفة والجمال .
- إذن فأنت شرقى من أى بلد من بلاد الشرق ؟
- إن من مصر البلد العريق فى الحضارة والتقدم
- كان البدر قد بزغ من بين الغيوم ، ورأيتها تتأمل وجهى ثم اشرقت ابتسامة على شفتيها وهمست :
- كم هو جميل هذا اللون الخرى الذى يكسو وجهك ..
- فأجبت .
- اما انت فلا أعرف هل أتحدث عن شعرك الذهبى ... أم عن عينيك الساحرتين أم شفتيك المغربيتين ... أم عن الجاذبية الصارخة فى كل ثنية فىك ؟! ، وراحت تحدثنى بعينيها وشعرت من نظرتها أن سعيرا يتلظى فى وجعها وجدتها تطوقنى بذراعيها وتضمنى إليها بشدة وذقت شهد شفتيها وهو ينسكب فى فى وأحسست بروحى تسمو مع تلك الأغنية التى مازال صداها يرن فى أذنى
- وعندما أفقت وجدتنى أهبط فجأة من أعالى السماوات إلى الأرض ، أما هى فقد رفعت وجهها من جديد إلى السماء ، حيث كان القمر بين طيات الغيوم المتزاحمة ، وراحت فى سبات عميق ، وترامت إلى فى السكون صوت أنغام موسيقى التانجو الهادئة ، وهى تصدر من مرقص قريب ، ولمست ذراع صاحبتى سائلا :
- ألا ترغبين فى بعض الشراب ؟ وإني لأود لو اسعدتنى برقصة

معك في هذا المرقص القريب !! فاطرقت مفكرة ولم تلبث أن قامت ،
وهي تتأبط ذراعى ، وسرنا إلى المرقص ، وأنا نشوان بحلى الجميل حتى
دخلنا تحت الأضواء الملونة المتلألئة ورحلت تأمل صاحبتى فكانت رائعة
الجمال جذابة إلى منتهى الجاذبية فالصقت صدرى بصدرها الناهد وخلت
إنى أرتقى من عالم الأرض إلى عوالم أخرى بعيدة .

وانتهت السهرة ، عندما أعلنت الساعة انتصاف الليل ، فحاولت أن
أضرب معها ميعادا لمقابلتها في اليوم التالى ، ولكنها إعتذرت لعدم
إستطاعتها، فطلبت أن أوصليها إلى منزلها فإكان منها إلا أن وضعت ذراعها
في ذراعى وسرنا في سكون الليل ... كنت أتوقع أن تحدثنى ولكنها
كانت شاردة فسألتها

— هلا حدثنى عن نفسك وعن عائلتك ؟ فسألت

— وماذا يهمك من امر عائلتى ... قلت

— لا شيء ... ولكن هلا حدثنى بأى شيء نقطع به السكون ...

حدثينى مثلا عن نفسك كما وإنى للآن لم أتشرف بمعرفة إسمك ؟ فاجابت

— أما من جهة إسمى فهو جوزفين ملتون ، وسأحدثك عن جزء

هام من ماضى

— تفضلى فهذا ما أود سماعه ، قالت

— تبدأ قصتى بالجامعة ، عندما كنت طالبة بقسم الموسيقى ، وكان لى

زميل نابغ يدعى فرانسو ، نمت بينى وبينه إلفة لم تلبث أن تطورت إلى حب ،

وكنت كثيرا ما أجلس إليه وهو يسمعونى انغامه على البيانو ، وكانت أنغامه

سحرية تحرك كوامن النفس فكانت عواطف غريبة تنتابنى ، هى مزيج من

الفرح والبكاء والسعادة والشقاء ، والبهجة والألم كلها تتضارب فى نفسى فى

لحظة واحدة ، فأحس كأن بركان على وشك الثورة ، وإن فى اعماق اتونا

يضطرم وكلما وقعت عيناه على كنت أشعر بدوار غريب ، وأخال أن
نظراته تحترق أعماقي ، وأخيرا عرفت ضعفى أمامه ، وحبى الجارف له ،
وإذ كان يبادلى حبا بحب ، لم أبخل عليه بأمن ما تملك فتاة ، ووهبه قلبي
ونفسى ، وفجأة أختفى فرانسو فى ظروف غريبة ، فرحت أبحث عنه كل
مكان على أجد له أثرا فلم أجد ، وجبت كل أوربا بحثا عنه ، ولكنى
لم أجد ما يرشدنى إليه ، وأخيرا رجعت إلى هنا ، وقد امتلأت نفسى يأسا ،
وظللت انتظر ، ولكن عبثا ولا زلت اتردد على الحديقة التى كنا بها والى
قابله فيها أول مرة ، اجتر الذكري والأمل عله يعود .

وهنا تنتهى قصتى ياسيدى فقلت

— يالها من قصة مؤثرة وددت لو أستطيع مساعدتك
وكنا نجتاز طريقنا فى الظلام وقد تركنا المدينة الكبيرة وراءنا ...
فسألت

— هل منزلك بعيد كل هذا البعد عن المدينة
— نعم فهذا ما اخترته لنفسى ولكنه إقترب كثيرا ، أنظر إلى هذا البناء
لأنه يقع خلفه مباشرة ... فقلت
— حسنا لقد كانت ليلة سعيدة ، وددت لو تقابلنا مرة ثانية ، فقالت
— هذا مستحيل

وبزغ القمر من خلف الغيوم ، فرأيت حولى فجأة عددا كبيرا من
القبور المتراسة ، كما بدا لى وجهها الجميل يخطف فى ضوء القمر وسألت

— عجبا لم إخترت منزلك فى هذا الطريق المقبض ؟ فقالت
— إنها الحياة يا حبيبى وأنا أسير فى الطريق الذى رسمته الأقدار لى ،
وقالت وهى تقترب منى وتلتصق بى
— داعا أما المحب فاناسه ف لا نلتة مرة أخرى

فضدمتها إلى صدرى وذقت حلاوة شفيتها ، وهى تنسكب فى فمى ،
وأبتدأت روحى ترقى ذلك السلم المجهول إلى عوالم من السعادة والنشوة ،
ونجاة اختلج جسدها وصار فى برودة الثلج فدفعته عنى باطف سائلا
— ماذا أصابك يا عزيزتى ... فقالت

.. إنه البرد القاتل ... هلا وضعت رداءك على كتفى ؟؟ !
وفى الحال خلعت سترتى وألقيتها على كتفها وسألت
— كيف حالك الآن ؟

وكان القمر قد إحتجب بين طبقات الغيوم وسمعتها تصرخ قائلة
مازلت أشعر بالبرد ... او اه أنى أختنق انقذنى

ومددت يدى اتحسسها فى الظلام وخطوت هنا وهناك على أعثر عليها
وراعنى ما حل بها فرحت أهتف جوزى ... جوزى ولكن لم يكن
هناك سوى السكون المطبق وصوتى وهو يتردد فى الخنايا الساكنة وأخيرا
وجدتتى اصرخ بكل قواى

جوزى ... جوزى أين أنت ، ولكن لم يكن هناك سوى السكون
وشعرت بالخوف يحتاج نفسى وسرت فى جسدى رعدة باردة فرحت
أجوس خلال المقبرة المظلمة وانا اناديها وبغثة سقطت فلم أشعر بما حولى .
وأفقت فى الصباح وكان كل ما حولى ساكنا وأحسست بألم شديد فى
مناقى فلم استطع أن أعرف ما حدث لى ولا حتى السبب فى مجئى إلى هذا
المكان ، ولا بأى جزء من أجزاء الأرض أكون ، ووقفت زمنا وأنا أقلب
ذاكرتى حتى تلبجت لى حوادث الليلة الماضية وتذكرت جوزى التى فقدتها
وهى فى أشد الحاجة إلى معونتى وقت البحث عنها فى المقبرة الواسعة ولكن
عبثا ، فهل يمكن أن تكون ذهبت إلى منزلها خلف البناء التى اشارت إليه
بالأمس ؟ وقصدت البناية وراعى أن أجدها كنيسة المقبرة وأن المكان كله

مدينة للاموات ، إذن أين يكون منزلها . . . وهل يمكن أن يسكن القبور
أحياء ؟ . . . ولكنني قصدت المقبرة الكبيرة التي تقع خلف الكنيسة وفي
نفس الاتجاه الذي أشارت إليه جوزي ، كان باب المقبره مواربا فدفعته
لينفتح بصوت رهيب وولجت مدخلا مظلما قادني إلى ردهة منيرة يقوم
في وسطها قبر رخامي . . . ولم أكد أرفع عيني الى شاهده حتى قفزت من
مكاني من هول المفاجأة فقد كانت سترتي البحرية بخطوطها الزرقاء معلقة
عليه .. فما الذي أتى بها إلى هذا المكان ؟ !! وقصدت إلى السترة حيث رفعها
من مكانها لارتديها وفجأة وقعت غيناى على ما سمرني في مكاني ... كان اسم
جوزفين ملتون مكتوبا على الشاهد فلم أصدق عيني وتقدمت احلق فيه
ولكنني وجدته صحيحا وأن فتاة تسكن هذا القبر تحمل نفس الاسم الذي
أعطتني الفتاة وقرأت .

جوزفين ملتون تبلغ من العمر ٢٤ عاما

توفيت غرقا في شهر الربيع عام ١٩٤٥

ومعنى ذلك أن الفتاة التي كنت بالأمس أراقصها ماتت منذ عامين . . .
إن أحدا لم يصدق قصتي ولكنني ما زلت أجلس في نفس الحديقة وعلى نفس
المقعد فاسمع همس الأغنية التي ما زال صداها يرن في أذني .

قد تذبذب شجرة الحب وبمنربها الجفاف ، ولكنها في الربيع
لا تلبث أن تزدهر فبرويرها الخنثى براه ، وترفع عنها الذكريات
السعيدة لفوات الزمان .

المدمر ون

٤٨ / ٦ / ٢٠

قمت اليوم بعمل رائع ، فقد قمت بوضع مادة الجانجنايت الناسفة في مدخل بناية شركة الصناعات المتحدة ، ولم أكد أبتعد قليلا حتى دوى الصوت المدمر ، ورأيت البناية تتطاير في الهواء والنار تشتعل في إشلائها .. إنه منظر رائع أن ترى صرحا من صروح الاستعمار ينهار ويتلاشى ، إنها قوة الشعب التي تكتسح أمامها كل قوة .

٤٨ / ٦ / ٣٠

كلفت اليوم بعمل آخر إذ قابلني الرئيس ، وقدم إلى قنبلتين يدويتين وطلب أن ألقيهما على سيارة حمدان باشا ذلك النائب الذي تجرأ على حزبنا وراح يندد بأعماله في البرلمان .

٤٨ / ٧ / ١

قرأت اليوم في الصحف نعي حمدان باشا الذي قتل عقب إلقاء قنبلتين على سيارته وراحت الصحف تطنطن في ذكر الحادث الفظيع الذي أودى بحياة رجل من رجال الأمة العاملين مطالبه بالضرب على أيدي المجرمين .. ولكن سمحوا لهم إننا نطهر العالم من هؤلاء الطفيليين وسأظل أمارس عملي إلى النهاية .

٤٨ / ٨ / ٢

طلب الرئيس مقابلي اليوم ولم أكد أُلج باب دار الحزب حتى وجدتني غاصّة بالأعضاء فالتفوا حولى في حلقه محيين ، وكنت أسمع كلمات الإعجاب والتقدير وهى تتطاير من حولى فتملأنى فخراً وفجأة ارتفع صوت يقول .. ها قد جاء البطل ، وتقدم إلى الرئيس يهز يدي بحرارة قائلا مرحبا بالبطل

لقد أتيت عملا جليلا ونفذت كل ما طلب منك بأمانه ، فهكذا تكون البطولة والوفاء ، وانه ليشر فني يا زملائي أن أقلد زميلنا هذا وسام البطولة من الدرجة الأولى . . وشعرت وهو يعلق في صدرى الوسام بأنى قد سموت على جميع خلائق الأرض وبلغت قمة المجد ، وارتفع التصفيق من حولى مؤيدا للمشاعرى .

٤٨ / ٨ / ٤

لست أدري لم تجرى الأحداث هكذا سريعا فقد قبض اليوم على زميلين وهما يحاولان تدمير المجلس السياسى فسيقا إلى السجن .

٤٨ / ٨ / ٢٩

ما زال الحزب يباشر أغراضه لقلب نظام الحكم والسير به إلى تحقيق الحرية والمساواه التى هى شعار الحزب ، فحشد حوله هذا الجمع من الأعضاء المخلصين ، وقد تم بالأمس تدمير ملهى فيجال الذى كان يجمع طائفة من الأثرياء المترفين ، راحوا جميعا أشلاء تحت الانقراض . . وهكذا يعمل الحزب عمله فى تطهير المجتمع من هذه الطائفة الخاملة .

٤٨ / ٨ / ٣١

كلفنى الرئيس أمس بمهمة خطيرة ، وهى قتل سمير باشا زعيم حزب الصناع لأنه يناوى الحزب ويحاول أن يحد من سلطانه ، .. ولولا إنى أقدر هذا الزعيم وأكن له الكثير من الاحترام والتقدير لكانت مهمتى سهلة . . ولم ألبث أن رأيته قادما فى مشيته هادئا مطمئنا ، وقد استغرق فى تفكير عميق وأمسكت بمسدسى متردداً ، .. كم أحب هذا الرجل .. إنه الرجل المثالى الذى أقدره ، وأعجب بأعماله الجليلة فى خدمة الصناع .. ولكن أليست هذه

أوامر الحزب ، وقد حكم عليه بالموت ، فهو إذن يستحقه . . ودوت
الطلقات الثلاثة وهوى الرجل متأوها إلى الأرض .

٤٨ / ٩ / ٩

يا الهى لست أدري إلى متى سيبطل هذا ؟ ، وكيف استبحنا قتل الأرواح
والأنفس . . . إننى كلما مررت بشوارع المدينة تروعنى الأكوام من
الآبنية المدمرة وصورة الخراب الشاملة التى شوهدت جمالها ، فاشعر بقسوة
هذه الأيدي العابثة التى تطعن هذا البلد المسكين بطعنات متوالية ، وهى الآن
صرعى بكل حضارتها ورفاهيتها .

٤٨ / ٩ / ٢٠

كلفنى الرئيس بمهمة خطيرة ، وهى تدمير جسر النهر الجديد ، وقد وقفت
مدة أراجع نفسى ، وأنا أود من كل قلبى لو أتخلص من هذه المهمة البغيضة ،
إذ أن هذا الجسر أعز مكان لدى ولى به الكثير من الذكريات العزيرة ،
وخطر لى أن أرفض هذه المهمة ولكن هاتفا فى نفسى منعنى ، وتسلمت
الكمية الكبيرة من مادة الجانجنايت ووقفت فى الردهة أتلقي تشجيع زملائى ،
ولكن شئ كان يضطرم فى نفسى . . وتركت الدار الحافلة بالزملاء ووجدت
نفسى أخيراً فى العراء ، فى الحديقة المحيطة بدار الحزب ، فوقفت أراجع
نفسى فيما أنا مقدم عليه ، ورأيت بعين الخيال الجسر الهائل الجميل وهو يهوى
إلى أعماق النهر . . فمن أين إذن أرقب الأخيلة الراقصة التى إعتدت أن أرقبها
على صفحة الماء . . وأين أجد أولئك العذارى الراقصات فى أحضان الموج . .
وأين الأضواء المتكسرة مع الموج المنساب . . وترأت لى المدينة وقد تدمر
فيها كل شئ جميل ، فغمضت عيني كي أحجب المنظر المفجع . . . منظر حطام
مدينة من الأجيال السابقة . . . ولجأة برزت أمامى فكرة عجيبة ، فراحت

عيناى تتصفحان حوائط بناية الحزب العامرة ، وفكرت فيما قد يفعله
الجلنجنايت بها ، وأخيراً وجدتني ألصق المائدة المدمرة بالجدار وأشعل
الفتيل . . ولم أكد ابتعد حتى دوى إنفجار هائل ، وتطايرت البناية ومعها
إشلاء القتلى والضحايا ، ووقفت أرقب هذا المشهد الرائع وأحسست لأول
مرة بالبطولة الحقة . .

والآن ليعد السلام لأرضك يا بلدى الحبيب ؛ إذ لم يخلق ابناءك للهدم
ولكن للبناء وها انا حطمت المعول الذى كان يهدم فيك .

(كذبت موادت هذه القصة من الخيال ولا تمت بأية صلة الى امر
من الأسماء)

المؤلف

على أبواب الجحيم

٤٣ / ٣ / ١٥

أخطأت أيتها السماء ، وها هي جريمتي تنبعث كرهة تجر في إثرها جرائم ،
فقد تمثل لي الشيطان في جسدها الرائع التكوين ملتفاً بأضواء الفجر الشاحبة ،
ناهدة الصدر ملتفة الثغر مهدلة الشعر ، وكأنها ملاك ألقى إلى كي يخفف
وحدثني وآلامى . . .

أخذت أرقبها بعين فنان . . . فيالها من لوحة ، وتبدى لي الشيطان
فكانت فتنة ، وهناك بين الخير والشر ، بين الله والشيطان . . . وقفت على
على صراط دقيق . . .

تبدت لي حياتي الفاشلة بين أفكارى المضطربة وآمالى المشتعلة ، وهي
ترتفع إلى القمة ثم تهوى إلى الحضيض ، ورأسى المثقل وهو يضرب بقدمين
ثقلين في يداء الظلة والهواجس المريرة يبحث عن هناءة فلا يجد إلا أن
يفكر في أحلامه الضائعة ، التي أذرتها الرياح وعصفت بها العواصف . .
رباه ها أنا أحصد ما زرعتة شوكا ، بقدمين عاريتين فاصرخ إلى سمائك
طالباً الرحمة في حرارة قديس ، وأنا الإنسان الدنيوى الذى بنى بيته على
الرمال فادرسته العواصف . . .

تبدت لي لوحة من سنى حياتي البالغة واحدا وعشرين عامامضت ، وقد
جللها السواد وخلت من النور الذى يمنح إليه الإنسان فى محنته ، تلك هي
الذكريات السعيدة التى تستطيع أن تشرق من أغوار الماضى ، فتبدد الكثير
من ظلمات الحاضر . . . ، وحولت وجهى وأنا أشعر بالمرارة تقطر فى أعماق
نفسى ، وإذا عيناى تصالحان ذلك الجسد النائم من جديد ، وقد ألقى عليه
النوم هدوءه ، وأطلق فيه الكثير من إغرائه السجين وكشفها حر الصيف
عارية تماماً .

نعم إنها التفاحة العتيدة تقدمها حواء إلى آدم الشقي فيظن فيها سعادته ثم يهجر من أجلها نعيمه ، فهل أتقدم إلى هذه الثمرة الشبيهة المحرمة ؟ ... أو أفلت تلك السعادة التي كانت تشوقني دائما ؟؟؟ ، وهنا همس ذلك الصوت المتزلف — والآن ماذا يحيرك يا رجل ، ها هي إمراة ناضجة أمامك فلا تتجاهل قل أن تضعي الفرصة ويستيقظ أهل الدار لعملهم .. إنها السعادة الضائعة التي تشدها ؛ ونعيمك المفقود فلا تتركها .. وهتف صوت آخر .

— لا تمسها حول عنها بصرك ونم وانجو من هذا الشر العظيم ... ،
إنك لن تقف أمام ضميرك من أجل إمراة ، فلا تستسلم إنها أفعى ناعمة كلها سم ودنس ، كلها فساد ودمار وفضيحة .

ورأيتني أحول وجهي وأحب غطائي فوقه لأحيل بينها وبين عيني راجيا أن ينتشلي النوم إلى عالمه المغمور ، ولكن كان هذا عبثا وقلبي يخفق بشدة ، وخيالها يملأ مخيلتي ، بل ويسرى في جسدي وإدراكي ؛ وعادوني ذلك الصوت المتزلف من جديد .

— آه انك ترفض هذه الكأس التي تقدم إليك مترعة ... ، انك تجحد بالحب وبكل عاطفة .. ، ولكن خبرني ما سر موسيقاك الحزينة وأنغامك البائسه ، وسر نفسك الضجرة ؟؟؟ ... إنه القلب الخرب الساكن بين جنبيك ، الذي لا تسمح له حتى بالخفقان ، فما أتعسه بك ... ، أنظر ألا تراها كالفاكهة ... ، أليست هذه هي المرأة التي تحن إليها وتعاني من بعدها ؟ ، إنك لم تعد شابا وقد أمت قلبك بين جنبيك فخرمت نفسك أحلى لذة وأهنا سعادة .

وأخيرا وجدتني أرفع وجهي من جديد ، وأنظر بعينين محمومتين إلى تلك النائمة وهي تأخذ أنفاسها بانتظام ، وشعرت بأن هناك دافع قوى يدفعني من مرقدى إليها ورحت أخطو خطواتي المتلصصة لأقف بجوارها محمما

مترددا ، وأنا أتأمل جمالها الساكن وشفقتها كبرعها لما تتفتح وحينئذ همس ذلك الهامس .

— القبله ... ما أحلاها كأسا مسكرة ... تذوق ... تذوق ولا ترفض هذا الشراب ، وكالحالم إنخيت أقبل تلك الشفاه ... لم أجد فيهما حلاوة أو عسلا ولا خرا بل كانتا جامدتين ، وهمس رائدى .
— كيف وجدتھا ؟

— لا شئ .. انه الوهم تسكبه الغريزة فتجعل منه نشوة خيالا . ، وسمعت ضحكات مكبوتة هازئة تقول :

— يالك من فيلسوف .. ! أهذا كل ما وجدت ؟ إنك شيخ فى صباك وهذا كل ما فى الأمر ... قبلها بشدة فستيقظ وتبادلك قبله بقبله وحينئذ ستعرف سرها ... ها جرب ... أتجبن ؟ .. تقدم وكن شجاعا وإلا ما إستحققت الجنس الذى تنسب إليه .. فتقدمت أقبلها فى عنف فاذا بالجسد الهادى يهتز وتتحرك عيناه ، وترمشان قليلا ، ثم ما لبثتا أن فتحتا مذعورتين وراحا يحملقان برهة فى شبحى المضطرب ، ثم لم تلبث أن ارتسمت ابتسامة شاحبه فى ثغرها ، راحت تقسم تدريجيا لتلاكل حياها .. كان هناك أتونا من الشباب المستعر يتأجج فى احشائى ، وأحسست بالشيطان يشور فى أعماقى فهويت إلى مرقدھا بأنفاسى المشتعلة ورحلت أعصر جسدها الرقيق فى أتون عاطفتى الملتهبة وشعرت بيديها وهما يلفانى ويضمانى .. وغبت لحظات فى نشوة طارئة .. ، وجأة شعرت بألاف السياط تنال على ، وان كل شئ حولى يصرخ ها هو المجرم إمسكوا الأثيم .. فانتفضت فجأة فارا من أحضانها ، وبعينى نظرة القاتل إلى ضحيته يعصرنى الأسف والندم ، ولكنها كانت هادئة والابتسامة ما زالت تتلاعب فى ثغرها ، وهنا هتف صديق القديم .
— سحقا لها عاهرة لا تشعر بالجريمة كما لو كانت اعتادتها من زمن

قديم .. وويلك أنت أيضا أيها الأثيم انك دنست طهارة عذراء ..
وربما كان هذا السكون سكون الفجيرة التي خلقتها بفعلتك الشنعاء .. ألا
تشعر بفعلتك وعارك ؟ .. يا نذل نعم نذل بل حيوان بهيم لا يؤمن ،
وتقدمت اليها مثقلا وبى رغبة شديدة فى البكاء والركوع عند قدميها طالبا
الصفح والغفران ، وهمست باسمها فى خيخ لم يجاوز حنجرتى وسألتها هل
أذيتك ؟ .. فأجابت وقد راعها ما رأت من اضطرابى .

— أوه كلا لا شيء البتة ، هزئت رأسى مندهشا باستخفافها ، فهل
كانت لا معنى ما أعنيه ؟ ولكن المؤكد انها تعرف .

كانت الأضواء البيضاء تراقص فى الحجرة والزرقة تكتسح أمامها الظلمة
وأصوات الديكة تتصايح معانه اقبال النهار ، فلدست ثيابى على عجل وأخذت
أعدو فى طريقى الى المحطة لألحق بالقطار الذاهب إلى المدينة حيث أستلم
عملى فى الساعة السابعة

كنت أشعر بشيء من المرح وكأنى طائر حبيس قد اطلق لأول مرة
بعد سجن طويل ، وكل شيء حولى جميل جديد ، فالنسبات الصحوه المنعشة
وتلك السماء الزرقاء الرائعة .. والحقول الخضراء المنبسطة ، كم من مرة مرت
بى هذه المناظر فلم أكن أجد فيها جمالا وما لها تبدلت الآن وتفجرت فيها
الفننة والحياة ..

كان خيالها يلزمنى .. خيال المرأة الأولى فى حياتى وكم من مرة همست
فى اذنى ذلك الهامس من جديد .

جرب القبله .. ثم اشعر بالنشوة تسرى فى اعماقى وتنتشر فى جميع
اجزائى فتلهب جسدى وتثير اعصابى .. وما زال ذلك الهاتف يحرض بالفاظه
السفیهة ، وحينئذ رحت اغمس نفسى فى العمل المتواصل ، ولكن صورتها
ظلت ماثله امامى .. الجسد المرمرى المسجى فى اضواء الفجر الشاحبة .. ،
لم استطع ان احول وجهى عنه أو أصم أذنى عن سماع الكلمات الهامسة ..

يا لها من فتاة .. إنها تحبك وترغب فيك حتى انها لم تصرخ أو تمنعك عن نفسها بل ضمتك إلى صدرها وافتك بين ذراعيها .. لا بد وأنك رجل احلامها فلا تجعل الفرصة تفلتك واحي بها شبابك المائت .. يحمد هذا ليهمس آخر فأن كان الأول أشد الحاحا كان الثاني أشد تقريبا .. ويلك يا شقي كم كنت تفخر بأنك لم تمس امرأة وها أنت ذا لا ترفض معها أول فرصة مواتية ، والآن وقد تدنست نفسك .. هل ما زلت تفكر في خطيئتك غير نادما ؟ هيا إبك وصل واطلب من ربك الغفران ..

وهناك وأنا اتلظى بين نارين واتقلب في آتون من الحيرة والندم أغمضت عيني مدمدا .

رباه رحمة بي أنا الشقي الذي طوى عليه الشيطان جناحيه .. ، وجأفة تلوح لي تلك النائم كحورية من الجنان فاحاق فيها متأملا نهديها البارزين وساقيا المرمرين ، فاشعر بالحمى تسرى في أعماقي فأناضل كي أطرده عن خيالها واسترجع آخر كلمة كنت اقولها في صلاتي .. نعم طوى عليه الشيطان جناحيه ثم خلق به الى ملكوته المستعر .. وقبل أن استرسل من جديد في صلاتي تبدت لي صورة خاطفة وأنا ألقى بنفسي بين أحضان المرأة الأولى .. رباه ارحمني .

٤٣ / ٤ / ١٨

يا لله لقد تبدل كل شيء في ناظري ، فأن هذه الفكرة تملأ رأسي وتأخذ على تفكيري وأنا بين مد وجزر بين الخير والشر ، بين الروح والجسد ، وكم من مره نظرت الى قواريري الفارغة وكتبي فلم أجد فيها ذلك السحر الذي كان يجذبني إليها من قبل .. ، وكم من مرة حاولت أن أستسيغ أنغامي التي كنت ألعبها على كفاي فتبدو لي سخيصة مملة وبالأخص رنة الحزن الممجة ، فانا أشعر بحاجة الى أنغام راقصة صاحبة أرقص عليها باكيا . ، وكم من مرة تراءى لي ذلك المجد الذي كنت أبحث عنه ككومة تافهة تركتها ورأى في

الظلمة مغموراً مجهولاً كحشرة تتحرك في جحر بعيد . هل هدمت كل ما كنت ابنيه من عشرات السنين ذلك الأمل الدافع للعمل ، وأصبحت وأنا في مفترق الطرق أقف متردداً ، فتارة أنا الباحث المنقب وأخرى أنا الماكن المبتذل فلا أدري وأنا بين التيارين إيهما سيحرفني .

١٨ / ٦ / ٤٣

كم أثارت فعلتي هذه براكيني الهادئة ، والفكرة تطرق رأسي طرقات متواصلاً والخي تمشي في أعماقي مستعرة بالرغبة الجامحة (وهي) تستجدي وتطلب وتلح دائماً . . نظراتها تدعوني وحركاتها تسألني ، وكلماتها تهتف بي وتستحثني ، وهي في نومها تتقلب ارقه وكأنها ترقد على جمر وقد تعرت تماماً بما يسترها ، إذ تبدت بها الشهوة فجردها من كل شيء ، انى انظر اليها وهي في هذا الآتون المستعر فأغلى كمرجل على نار . . هل أستسلم أنا الآخر واغوص الى قرارة الخمأه التي تفتحت تحت قدمي ؟ . . لقد وجدتها تهدم روحي وفني وأملي . . كلا كلا أيها الشيطان ابتعد عني فأني لا ارجب أن اهب اليك نفسي لتعذبي ، وارفع يدي احجب بهما عيني وابكي من شقائي ، وأخيراً أهرب من شري فأنهض واخرج الى القرية النائمة في السكون حيث تبدو المنازل هادئة مستسلمة ، وتطرقني الفكرة الآئمة . . نعم ماذا تضم هذه الدور ؟ وماذا يجري خلف الحجب والستائر ؟ ! ! ؟ !

رباه انى آدم وقد تفتحت عيناه بعد تلك التفاحة التي قدمتها له حواء وها هو ستار البراءة قد أزيل وتبدى خلفه الأثم عارياً ، فطردت من جنتي لهذه الأرض الحصباء ، وقد أصبحت سعادة الناس سهم مسدد الى . .

آه يا حواء لقد كنت أنت فوق المجد الذي كنت ابنيه فاذا بك تهدميه ثم تمشي في خرابه . . حواء . . يا لعنة السماء . . يا هادمة الأرض . . لم اقتحمت على خلوقي السعيدة ؟ . . ألتقدمي لى تلك التفاحة المهلكة . . تالله لقد تبينت سمها خلال حلوها ولكن ويلاه لقد ابتلعتها .

٤٢ / ٦ / ٢٠

في غمرة من الهدوء وكل عين نائمة رحت أنا أجوس خلال القرية المظلمة بين صيحات الكلاب المتجاوبة ، وكأن العالم قد راح في سكرة بينما خلفني ورائه ليقتطى البائسة ، وأخيرا وجدت نفسي في محطة السكة الحديد حيث أوقد مصباح واحد لا يكاد يدفع لجج الظلام المتكاثف من حوله واستلقيت على أحد المقاعد الخشبية ووجهي الى السماء التي تبدت لي ذاكنة تلمع فيها حبات من النجوم المنشورة وهي تخطف حيناً وتخبو أحياناً ورأيت أحدها يسقط ويهوى تتناثر حوله الشهب الملهبة وهو يمرق كشعلة من نار وقد ترك مكانه شاغرا يحتله غموض وإبهام .. هكذا تكون الحياة فهي حبة في عقد لا يلبث أن ينفرط فإذا بالعقد دونها .

أيقظتني أخيراً نسمة من نسبات الليل الباردة تستحني على العودة في حمى الجدر والنوافذ والأبواب المغلقة ولكن هل أعود حيث ينتظرنى ذلك الشر العظيم الذى لا يخلف ورائه إلا شعلة من نار الجحيم .. ، الجحيم التي ينكرها الناس ولكنها تشتعل بأوار في نفوس الأئمة والآمين وأغمضت عيني هامساً أنه جنون ، أنه ندم وأسف وفرح وسعادة وشقاء وشئ مشاعر متضاربة بلا تنسيق أو تنسيق ، بل هي فوضى من المشاعر المتطاحنة تتسلط على العقل وتهد الكيان فهي نار لا تمسها اليد ولكنها تلتهم النفس والعقل والعواطف .. يشعر الإنسان بعدها بالضعف والوهن وأخيراً تراه يهوى ويهوى الى الحضيض الذى لا قيام بعده .

إرحمني يا إلهي من هذا الجنون ومن تلك النار التي تلتهمني ومن العذاب الذى أتلفني فيه .. وقت أسير في خطوات وثيدة اضرب في الظلام المخيم إلى أن تبدى لي شبح بناية قريبة ووقفت هنيئة مترددا أسائل نفسي هل يحق لمثلنى أن يدخل إلى بيت الله ؟ .. وارتفع وقع خطواتي على الأرض الخشبية ، ثم أوقدت عوداً من الثقاب تراءت على ضوئه الهزيل ساحة المعبد

الصغير ، و اوقدت شمعة تحت تمثال المسيح المصلوب ، و رحت اتأمل وجهه المولم ، وجسده المجروح و صدره المطعون تسيل منه الدماء ، انه الضحية التى قدمت كفارة عن الخطيئة اللعينة فمات من أجل الخطاه ورحمة بالخطاه .. وركعت فى هدوء ولم أقل شيئا ولم أصلى ، بل أبكى وأطلق العنان لدعوى الحينس .. وأخيرا اعترانى نوع من الهدوء و بقيت فى سجدتى ساكنا انعم فى ذلك الهدوء ، و خيل إلى أن ترانيها تترامى الى من بعيد فرحت ارتل معها بقلبي منصتا لصوتها الجميل وهى تحمل الراحة للتعبان و ثقيلى الأحمال .

كان الفجر يرقرف باجنحته البيضاء خلف زجاج النوافذ عندما فمت أخذنا طريقى الى المنزل وقد غاب عنى الشر وكأن ستارا كشيفا قد الفى بينى وبينه ، ولكنى لم اكداقترب حتى وجدتها واقفة فى باب الحديقة ، وقد برح بها السهر والأرق واستبد بها العذاب وسألت باقتضاب وهى تصوب الى نظراتها الجائعة .

— أين كنت ؟ . . فقلت

— هاربا من فتنة المرأة المهلكة .

— إذن تهرب منى الآن ، ولكن لم تهرب من البدء ؟ 11 .

— لقد كان الشيطان قوى على .

ويحك ولكنى أريدك فتعال ، وكلى لك .

ثم اطبقت على يديها وراحت تنهال على شففى بقبيلات مشتعلة وانفاسها تختلط بأنفاسى وحرارتها تسرى فى جسدى وأحسست بالحيوان الساكن فى يتحرك وادركتنى غيبوبة طارئة وجأة ترمى الى أذن ذلك الهمس المرتل الذى سمعته فى المعبد وهو ينادى بالانتصار على الخطيئة والشر .. فافقت ونظرت اليها مرتاعا لأدفعها عنى قائلا :

إياك وهذا الشر العظيم لقد سقطنا مرات فلنحاول الآن أن نتخلص

ولا ندع الشر يتسلط علينا مدى الحياة ، انا اعرف الجحيم الذى قضيت فيه لياليك لآنى قضيتها بدورى فيه . فذقت الألم والعذاب والجنون العاطفى المحطم نعم لقد اركت مثلك ، وتقلبت فى جحيم الرغبة والشهوة ولكنى لم أحتمل وطلبت منه خلاصاً وأخيراً وجدته . . . أعرف انى كنت السبب فى كل هذا وأنت كذلك فقد كان من الممكن أن تكونى فتاة طيبة ولكن الشيطان كان ثالثنا فغرس بيننا الفتنة واطعمنا من شجرته المحرمة ، فتعالى معى الآن وسأريك طريق الخلاص من شرنا العظيم . . . تعالى لعل الله يرحمنا ..

وسرنا فى سكون الفجر إلى أن دخلنا المعبد وكان القس يردد صلواته الخافتة على المذبح المقدس وتقدمت مشيراً إلى المسيح المصلوب والشمعة التى كنت أضأتها ما زالت تحترق تحت قدميه وقلت :

— هنا اسكنى كل آلامك وهو قادر أن يعينك ، ورأيتها وهى تركع ثم تسكب نفس الدموع الغزيرة التى سكبتها من قبل بينما رحت أنا أردد مع القس بعض كلماته وأخيراً وجدتها تقوم وقد ارتسم على وجهها سلام عجيب وقد فاضت ابتسامته من الرضا والسعادة على محياها فبدت جميلة أخاذة وتقدمت آخذاً بيدها وسرنا إلى الهيكل وقلت باركنا يا أبى فان أريدها زوجاً لى وركعنا حيث راح الأب يتمم فى صلاة طويلة لقد خلقهما فى البدء ذكرًا وأنثى . . . وما جمعه الله لا يفرقه إنسان .

وهمست فى اذنها قائلاً انى سعيد بك الآن فاجابت .

— وأنا كذلك .

— لقد كنت فى الخطيئة خادمتى ولكنك الآن سيدتى وما اسعدنى بهذه السيادة التى فيها خلاصك وخلاصى . . . لقد انتصرنا على الخطيئة ، وأغلقتنا باب الجحيم .

اللغز الغامض

هل أستطيع أن أجد تفسيراً معقولاً لما حدث !!! .. وهل أجد من يرشدني إلى حل لهذا اللغز الغامض ؟! وهل نجد دائماً تفسيراً معقولاً لبعض الحوادث الخارقة للغير مألوفة والتي يحار الإنسان في تعليلها وتحليلها إلى عواملها الأولية ، تظل عالقة بذكرها زمناً ولكنها لا يملك إلا أن يطويها وراء ظهره حتى ينهال عليها النسيان .

لم يكن لي صديق في القرية التي كنت أعمل بها سوى كلب أحمر كبير ، كان أهل القرية ينادونه بسبع الليل ، وكان كثيراً ما يلقاني وأنا راجع إلى منزلي أتخبط في ظلام الليل يلحس قدمي ، فأشعر بالطمأنينة والهدوء ، وكثيراً ما كان يتبعني في جولاتي بالقرية نهاراً ، ودائماً أجد صديقاً وأنيساً لي في وحدتي يجلس تحت قدمي في اطمئنان وهدوء عجيبين وعرفت في النهاية أن صاحبه جاوisha يعمل بالبوليس يسكن على مقربة مني .

و ذات ليلة بينما كنت مضطجعاً في فراشي أطلع كتاباً ، وصلى صوت غريب يشبه عواء الذئب ، وكان الصوت قريباً جداً بل تحت النافذة تماماً ، فاطللت منها على اثنين مصدر هذا الصوت الغريب ، ورأيت تحت ضوء القمر المنسكب سبع الليل وقد اقعى على قدميه ورفع رأسه في الهواء وراح يردد عواء طويلاً عميقاً ، وانتظرت أن ينتهي من نباحه هذا ويعود إلى عوائه المعهود ، ولكنه ظل على حاله في عوائه المرير .. شعرت بالضيق وأحسست بالوحشة من عوائه وكان لا يزال يردد نحيبه المشثوم ، فظننت أن مرضاً قد ألم به ، فذهبت إليه كي أجلو الستر عن سر عوائه .. لم يحاول

هو أن ينهض من رقدته أو يلتقي كما اعتاد أن يفعل . بل حول وجهه واستمر في عوائه ؛ فأنحيت عليه امسح رأسه الكبير متسائلا عما أصابه ، ولكنه نظر إلى بعينين حزينتين وراعى أن كانتا مغرورتان بالدموع ، فرحت أنحس جسمه واطرافه على اجد كسرا او ما يسبب له الما ، ولكنى لم اجد . ورحت اسأله عن سبب عوائه فاطرق برأسه صامتا وفكرت انه ربما يعوى جوعا فاخذته الى حجرى وقدمت له بعض الغذاء ولكنه نظر اليه من بعيد . وحول عنه وجهه صامتا ، فحاولت أن أستحثه على الأكل فلم افلح ، وحينئذ حرت فى تعليل ما أصابه ، ورحت انظر اليه وهو فى اطرافه الحزين ونظراته الشاردة فكان صورة واضحة لمعالم الحزن والشقاء ..

واصل سبع الليل نباحه طوال الليل فلم يداعب الكرى عيني واحسست بالغضب يملأ نفسى على هذا الحيوان المجنون ، فكانت الدقائق تمر على ثقيلة متباطئه ، ولم تكد تتراقص خيوط واهيه من النور على زجاج النافذة حتى كف عن نباحه تاركا النوم كى يتقل جفيني ، وانقضى ذلك اليوم ، ولم يكد يحل مساء يوم آخر حتى أستأنف سبع الليل عوائه الموحش أشد وأقوى ، وظللت اتقلب فى فراشى استدرج النوم ، ولكن .. هيات وتلك الصيحات المترددة المتصلة تمزق السكون وتفكك بالأعصاب ، واخيرا وفى سويعات الليل القليلة الباقية غلبنى الكرى فألقى على سباته العميق ، ولكنى فجأة استيقظت على صوت طرقات مدوية فهرعت إلى النافذة لأرى غلاما صغيرا يحمل طبلا كبيرا على صدره راح يقرعها قرعات متقطعة ، فينتشر دويها حزينا مؤلما ، وكانت هذه الطريقة هى الاصطلاح الذى وضعه أهل القرية لاعلان انتقال إنسان إلى العالم الآخر ، وسمعت الناس وقد جاءوا زرافات ووحدانا يتهايمسون باسم الجاويش على .

وعجبت إذ أن الرجل كان في صحة جيدة ، وعلمت انه قد مات في
الهزيع الأخير من الليلة السابقة بالسكتة القلبية

لم يعد سبع الليل إلى نباحه ، وجاء يقرع بابي طالبا عشاءه
ترى هل رأى ذلك الحيوان الموت وهو يحوم حول رأس سيده ؟ . .
وهل له أن يتنبأ بالحوادث ؟ . . ونظرت إلى عينيهِ الصافيتين وهو يتوثب
حول . . لقد نسي الكارثة تماماً ، ولكنه رآها وهي هابطة من عالم الغيب
والمجهول ، فكيف نفسر ذلك ؟ ! !

حياتي في العمل الإنساني

هل يمكن مكافحة أخطر عدو للإنسانية ؟

وهل يمكن القضاء على السل الرئوي ؟

إنها ليست قصة . .

ولكنها نتيجة أبحاث قام بها المؤلف على أساس علمي بحث

جاعلا من نفسه أنبوبا للاختبار ، وحققا للتجارب

ليوجه لعدو الإنسانية الأول ضربة قاضية

صورة لأروع كفاح إنساني ضد المرض الذي يحصد كل يوم

آلاف من الآدميين في رسالة يوجهها إلى العالم أجمع

ماريا



شيلي وانترز نجمة يونيفرسال

لم تكن إلا قرية صغيرة تحوطها المزارعات من جميع جهاتها ... ،
رحلت أعبأ الجسر القائم على النهر الصغير ، لأسير في طريق ملتو مغبر تملأه
الحفر والمطبات ، ولم أكد أوغل فيه قليلا ، حتى برز أمامي وجه غريب
منحضب من خلف مصراع باب مرآل ، فوقفت داهلا أحرق فيه النظر ..
كان الوجه مسوخا وقد تضخمت أنفه وشفتاه ، واضطرب كله بلون أحمر
كالدم ، تتطلع منه عينان غريبتان راحا يرقبان بنظرات حائرة ... وسرت
في طريق أضرب أخماسا في أسداس على أجد حلا للغز الذي مربني ...
ونجأة أيضا برزت أمامي شرفة كبيرة ، جلست فيها امرأة متوسطة السن ، سرعان
ما حولت نظري عنها إلى الفتاة الجالسة بجوارها ، وتذكرت تماثيل الرومان
البديعة الممتلئة بالقوة والشباب والجمال ، وحسبت نفسي في روما وليس في
قرية بعيدة منبوذة .

ربما كانت وحشة هذه القرية النائية، والوجه الأحمر الممسوخ هما اللذان دفعاني إلى تسمي غير هذه الفتاة، فأغفلت طرقها القدرة المظلمة ومنزلها الضيقة المتواضعة، وأصبحت القرية في ناظري شرفة وفتاة، فلا أكاد أفرغ من عملي حتى أجول حول شرفتها لأشبع شوقي وحنيني إلى الخيال، فأرفع إليها عيني وفيهما خشوع العابد ورهبة المتصوف، وكان مرآها يمسح عن نفسي فظاظة الحياة وجفوتها، خلال تلك المعالم من الفقر والعوز والحرمان التي تدمغ كل شيء بطابعها، وكأن الحياة سجن رهيب يكبل القوم بأغلال من الذل والضي، ويترك على وجوههم طابعه الرهيب، أما هي فكانت زهرة برية أنبتتها الشمس ورعتها الضياء وحنّت عليها أنسام الربيع المترفة فلألتها شباباً وحياه، فهي واحة نبتت في صحراء جرداء، وكان طبيعياً أن تجتذب إليها إنساناً غريباً مثلي لم يعتد هجير الصحراء ولا قحطها.

عرفت الطريق إلى حانة والدها، وكنت كثيراً ما أقف في انتظارها وأنا أجادب والدها أطراف الحديث، حتى أراها قادمة تجر كلبها الأبيض الصغير، وعرفت في عميلاً لو والدها، فلم تبخل عليه بالتحية العابرة، ثم لم تلبث أن راحت تسألني عن مهمتي في القرية، إلى أن أصبحت مقابلاتنا مألوفة، ولو أن الشيخ لم يظهر رضاه عنها، فكان يحاول دائماً أن يشغلها بعمل ما ليضمن ابتعادها عني، ولكن لمست أدرى كيف استطاعت حيونها أن تسمرنني إلى مقعدي ساعات طويلة، وأنا أرقبها وهي تؤدي عملها في خفة ومهارة. ثم نتبادل الابتسامات التي كانت أشد قوة وأبعد أثراً من شراب أبيها الكاوي.

سرعان ما فتحت لي منزلها بحجة إعطائها دروساً في اللغة العربية، التي كانت تحاول أن تتعلمها، ورحبت أمها بصداقتي لإبنتها، أما والدها فلم يزل على عناده، فلا يكاد يراني في منزله حتى يلتوى كالملسوع، وتعصف بوجهه العواصف، ولكن نظرة واحدة من عيني زوجته كانت كفيلة بأن تجعله

يبارح المكان دون أن يثبت بنت شفة ، فقد كان الرجل متعصبا لجنسيته ولا يرضى عن صداقة ابنته لمصرى .

كانت أمها كثيرا ما تذهب فى زيارة قريبة لها ، فكانت تتيح لنا فرصة يتفرد فيها كل منا بالآخر ، ولكنى كنت جادا فى مهمتى ، إذ كانت تكفينى السعادة التى أحسها بقربها ، والتفاهم العميق بين نفسى الضالة ونفسها . وذات مساء كان المنزل خاليا إلا منها ومنى وكنت أرسم الحروف الهجائية المكونة لإسمها ، اما هى فلم تكن منصتة وإن بدا عليها غير ذلك ، وخيل الى أن رأسها الصغير تعصف به أفكار شتى وحاولت أن ألقت انتباهها الى الدرس ، فتطلعت إلى بعينين يملأهما التوسسل والنسائل ، ولكنى استئليت متمما شرحى ، لنسألى فجأة

— جميل . . . ألا تجيد شيئا آخر غير التدريس ؟

فرفعت عيني إليها مستفسرا ، وقد أدهشنى سؤالها

— ماذا تعنين يا ماريان ؟ ، فقالت وقد اكفهر وجهها

— هذه الدروس يا عزيزى لم أعد أحتملها . . . بل لقد صارت عبئا

ثقيلا على نفسى

— أحقا . . . ولكن ألم تطلبى أنت منى ؟

— نعم . . . ولكنى وجدتها مضیعة للوقت .

— مضیعة للوقت ؟ . . . أشكرك فقد ظننت أنك تقدرين مجهودى حسنا

إذن فلنتهى . . . الآن . . . ولكنها أمسكت بكتفى قائلة :

— كلا . . . كلا يا حبيبى هل أغضبتك ؟ . . . إنما يجب أن نبدأ منذ الآن . . .

لا أن تنتهى وأحسست بأنفاسها تختلط بأنفاسى وتلفح وجهى وفى عينيها نداء

ملح ، وارسم على شفيتها اغراء طاغ وهمست :

— إنى لا أود أن أضيع حياتى فى الحرمان . . . جميل أحبك . . . أحبك

يا جميل هل تفهم ما أقول ؟

وأحسست بحبي الذي كنت أحاول أن أكتمه عنها يتدافع غامراً عارماً
فهبت وأنا أضجها إلى :

— وأنا أحبتك كثيراً يا ماريبا ، وطوقت يديها الناعمتين عنقاً لنتحلم
في قبلة طويلة مشتعلة ، تركت بعدها رأسها ليستقر فوق صدرى فرحت
أمسح شعرها الغزير بشفتى ، لنهمس كالحلمة :

— لقد انتظرت هذه اللحظة طويلاً ... وخفت ألا تأتى أبداً

— كفى يا حبيبتي ... لا تذكريني بالليالي الطويلة التي قضيتها مسهداً وأنا
أفكر فيك

— أحقاً يا حبيبي ... دعني أنظر في عينيك لأرى صدق قولك

— انظري بعمق ... فقد نرين فيهما أعماق قلبي

— أنا سعيدة يا جميل ... وأنت حي الأول ... وبودى أن أهب
حي كل شيء ... ولكن دعني أولاً أرقص لأعلن عن سعادتي فهل تسمح
لي بذلك ؟

— نعم يا حبيبتي إفعلي ما يروقك ، فقامت واثبة على قدميها وراحت
ترقص وتدور أركان الحجرة وأنا أرقبها ذاهلاً معجباً ، ثم ألقى بنفسها
على مرقدتها في وضع مثير ، فراح قلبي يدب ديباً بين جنبي ، ونادت :

— جميل ... تعال هنا ، فوقفت جامداً أحرق فيها كالماً خوذاً ، لأقول

— كلا ... أفضل أن أبقى حيث أنا ، ماريبا - أرجو ألا تفسدي

هذه اللحظة

— لا ... تعال إلى جوارى ... أريد أن أغنى لك أغنية

فجلست بالقرب منها على حافة الفراش وأخذت يدي في يديها ،
وراحت تغني بصوت حلو ناعم ، وأنا أحرق فيها مذهولاً ولما انتهت
أغنيتها سألتني

— كيف وجدت أغنيتي ؟ ! !

— مدهشة يا ماريـا

— هل أعجبك ؟

— جداً جداً

— أشكرك ولكن لم لم تقبلني ... أرجوك إفعل ... وطوقتي بذراعيها
وراحت تقبلي قبلات مشتعلة ، ورأيت عيناها تذبلان وصدرها يعلو
ويهبط ثم همست بأنفاس متقطعة :

— جميل ... أريد أن أمنحك كل شيء ... فلم لا تمد يدك وتأخذني
... وصرخت مرة ثانية وفي عينيها نظرات غريبة :

— إني أريدك ... تعال ، ... بينما كنت في صراع مع ضميري الذي
لم يسمح لي أن أدنس ذلك الحب العميق الذي أكنه لتلك المرأة ... ذلك
ذلك الحب المبني على الإعجاب والافتتان بفتاة كنت أجهل تمام الجهل أخلاقها
وشعرت بصدمة عنيفة ترج كياني ، ونمالي كنتي مزيج من المشاعر المتضاربة
بعضها مقبل والآخر مدبر ، وأحسست وقتئذ بحبي لها ينهار ويتلاشى ليخلفه
بغض شديد ، و فجأة اختطففت نفسي من أحضانها ثم اندفعت إلى خارج الحجرة
لأصق الباب خلفي ، وأثب إلى الخارج كي يحويني ظلام الطرقات ، أضرب
فيها على غير هدى ، ولكن كان صوت أغنيتها يرن في أذني وكأنما أبي إلا
أن يتابعني

قبلني ثانية ... وحبني إلى الأبد ... فإن سنوات السعادة ثوان
... ولحظات الهناء عابرة ... والدهر الذي جمعنا سيعمل كي يفرقنا ...
قبلني ثانية وحبني إلى الأبد ... ودع الأبد يبدأ منذ اللحظة ...

النار في الهشيم

وصلتني دعوة عرس كانت تحمل حرفي م ، ر ولما فتحتها قرأت
الإسمين ماريا ، وروملو ... ولم أكن أعرف رجلا بهذا الإسم ، فلم أنو
الذهاب ولكني أخيراً وجدت نفسي مسوقاً إليه ، ودون أن أشعر رحت
أصعد الدرجات الخشبية وقلبي يحترق أسي ويتمزق لوعة ... ، لقد أحيت
هذه الفتاة رغم كل شيء وقد شردتني محاولة طرد خيالها ، وها أنا لا أفلت
فرصة كي أراها ... ورأيتها في الردهة وهي في أوج جمالها وشعرت بقلبي
يتمزق على هذه التي فقدتها وكانت يوماً ما في يدي ، وأسفت أشد الأسف
بتعلقى بما يسمونه المثل العليا ... ، ولما رأيتي ابتسمت ابتسامة عريضة
وزادت التصاقاً بعريسها الهرم ، وعندما انتهى الكاهن من تلاوة صلواته
صدحت الموسيقى وقام الكل إلى الرقص بينما انتحيت أنا إلى مقعد منعزل
أرغب الراقصين ، بل وأرقبها بالذات وهي تراقص عريسها حتى إذا ما وصلت
بالقرب من الفرقة العازفة همست في أذن قائدها بكلمة نقلها إلى أفراد فرقته
وبسرعة تحول النغم الصاخب إلى أنغام التانجو الهادئة ، ثم انساب
صوتها الحالم يردد الأغنية التي كان صداها يتردد في أذني وجفأة وجدتني
أقفز الدرج إلى الطريق المظلم أضرب في أزقة القرية وطرقها الملتوية ، حتى
سأقتني قدماي إلى شاطئ النهر فجلست على حجر بالقرب منه ، وكان القمر
المختق يتأرجح خلف الأفق وفي خطوات مترنحة يصعد إلى السماء وهو
يسبح في بحر من الدماء ، ولكن صورتها ظلت ماثلة أمامي وهي تميل على عني
عريسها الهرم البغيض ، ثم صوتها الناعم وهو يردد تلك الأغنية ... لقد كنت
مجنوناً عندما رفضتها ، فقررت من السعادة لأدفع نفسي في هذا الجحيم من
الحسرة والأسف والندم والحب المفقود ، وأغضت عيني بيدي ورحت
أبكي ... لحظات الهناء عابرة ... وسنوات السعادة ثوان ... والقدر

الذى جمعنا سيعمل كى يفرقنا . . . سيعمل كى يفرقنا ، وافقت فجأة من استغراقى على صوت زفرة عميقة ، فتركت يدى تسقط من فوق عيني لأفاجأ بالوجه الغريب الذى يتطلع إلى ، وشعرت برغبة فى الفرار ، واقترب منى الوجه المسوخ ، وتلاعبت الشفاة الغليظة المخضبة وقالت فى صوت أجوف غليظ .

— لا تجزع ياسيدى فإنى لست من الجن ، ولكنى آدمية مثلك نكها الدهر بهذا الوجه الغريب . . . ، واقترب منى الوجه الأحمر ، ذو العينين البارزتين والأنف المفرطح ، حتى أحسست بأنفاسه القوية تلمح وجهى وتهد بصوت عميق طويل وقال :

— أتبك أيها السيد ؟... أرى الدمع فى عيذك... فلم أقل شيئاً بل رحت أتأمل هذا الكائن ذى الوجه المسوخ ، وكيان امرأة تحمل جرتها فى يدها وقالت :

— لست أدرى إن السعادة دائماً نادرة والشقاء موفور ، فأنت ترى الدموع فى عيون الشباب أكثر مما فى عيون العجائز . فسألت وقد تمالكتم زمامى .

— وهل معنى ذلك أنهم أسعد منا فأجابت :
— كلا ، ولكن لم تعد لهم أحلام وآمال يشقون من أجلها ، فهم لذلك سعداء بالواقع فقلت ضاحكا :

— هذه فلسفة غريبة . . . هل انت فليسوفة ؟ فأجابت :
— قد أكون ، ولكن الناس ينظرون إلى كاي ينظرون إلى حيوان غريب ، ولكن ما ذنبى إذ ولدتنى أمى هكذا ؟ فقلت وقد بدأت أطمئن إلى حديثها .
— هذا صحيح للأسف ، ولكن أظن من يسمع حديثك يعرف أنه إزاء إنسانية مهذبة ، فتهدت قائلة :

— من هي إذن ؟

— حسناً ... إنها ماريـا

— ماريـا ؟؟ ماريـا ... إذن أنت مخدوع بجمالها ، إنكم معشر الرجال دائماً تطلبون ما يملأ عيونكم ، ولا تحفلون إذا كان هذا يفرغ قلوبكم .. أنظر إلى هذا القمر إنه يتوسط السماء وهو في كمال أهته ومجده ، ولكنه عما قريب سيتوارى كي يتركك في ظلام ، وتظل تحددق في طريقك كي تبين خطاك وتضرب هنا وهناك وتساءل نفسك — هل رأيت حقاً تلك البقاع النور وتعرف حينئذ أنه كان خدعة جازت عليك لأن أنواره زائلة وكاذبة .

— قد يكون هذا صحيح ، ولكن الحب مجنون لا عقل له كي يميز ويدرك

— آه مسكين أنت إذن إذ ستظل حياتك تحلم بالنور وتسير وخيالها يعيش عينيـك فلا ترى ، إنها كالبريق أو اللمعة الخاطفة ، ولكني أحذرك من الضعف والاستسلام ... فهي فتاة لعوب ، لا تعير الشرف أو الحياء وزنا واعرف أنها لعبت بقلوب كثيرين ولكن .. ها قد تزوجت وربما انتهت قصتها بذلك .

الارض الطيبة

لست أدري كيف استولى على حبيها فظلت دائماً في خيالي وسمعي ، وكنت أحاول عبثاً أن أقضي على حبي لها بأن أذكر نفسي مراراً أنها امرأة ساقطة لا شرف لها ولا ضمير ، ولكن قلبي لم يكن يعي مثل هذه الأقاويل ولم كان يتمزق كلما مررت بشرفتها لتتلاقيني بنظرة مستخفة ...

هل نزعتني سريعاً من قلبها ، ولم تعد تذكر عني شيئاً ؟ فأرفع إليها عيني أسألكم ... ألم تقل أنها كانت تحبني فهل استطاعت بمثل هذه السهولة أن تنزعني من فؤادها ! وتمنيت أن تكون بقلبها بقية فتتيح لي فرصة أكفر

فيها عن خطيئتي ... كم كنت إليها من رسائل لم تصلها قط فكنت أجلس إلى شاطئ النهر تحت شجرة النبق الكبيرة أقرأ لها رسالتي وأخال أنها بجانبها تسمعها وتفهمها ، وبعدها أمزقها وألق بها إلى اليم وأظل أرفب قصاصاتها والماء يحملها كزهرات ساقطة أو أعشاب جافة ... ماذا تقول عني لو أرسلت لها إحدى هذه الرسائل ! ألا تقول إنى أحاول السطو على زوجة فيزداد بذلك احتقارها لي وازدراؤها ؟ ! ! ..

لقد صارت القرية بغیضة وكتيبة في ناظري ، وأصبحت شرفتها ناراً تأكلني وتكونيني ، فكنت أهرب منها إلى شاطئ النهر ومعى قصبة صيد حيث أنعم بالجمال الطبيعي والهدوء العذب ، وأصرف نفسي بالصيد عن التفكير فيها ، ولكنى كنت أجد دائماً خيالها على صفحة الماء وصوتها مع الريح يهمس تلك الهمسات الناعمة ، فأنسى القصبة والصيد وأعود إلى تلك الأمسية التي فقدتها فيها ، حتى أفاجأ بجذبة شديدة في الشص فأسارع باخراجه لأجده فارغاً من الصيد والطعم معاً ، فكنت غالباً ما أعود فارغاً ، وذات مرة كنت في صيدى المعهود قبل الغروب ، لمحت ثلاث أخيلة تتوالب في الطريق وقد حمل كل منها قصبة صيد طويلة ، وكان الشبحان المتطرفان لرجلين بينهما كان الأوسط لامرأة ، ما إن وقع بصرى عليها ودون أن أتین وجهها حتى راح قلبي يدب في عنف ، وثقلت القصبة في يدي فأدليت في الماء كي يحملها عني ، ونقل إلى الهواء ضحكة طويلة ناعمة تردد لها في أذني ما يشبه الدوى ، وكانت هي بين زوجها وأخيها ... إنها سعيدة بحياتها الجديدة مع هذا الشيخ ، ولا أدل على ذلك من مشيتها المرحية وضحكاتها المتتابعة ، واقتربت مني الجماعة وقد ثبت بصرى على ماري لا أفلتها ، وحياتي أخوها تحية عابرة ثم واصلوا السير إلى مكان يبعد عني قليلاً ، حيث ألقى كل منهم بشصه في الماء ووقف يرقب ما يأتي إليه به الحظ .

كانت الشمس تتراجع لتحتجب خلف الأفق وقد بدت كقرص كبير

من ذهب نقي في علبـة من القطيفة الحمراء ، وبدت لي ماريـا كتمثال من
الابنوس الاسود ... شعرها الطويل وهو يصارع الانسام ، وصدرها
الناهد النائر ... وجسدها المخروط البديع ... وقوامها اللدن الممشوق ...
وسرعان ما رأيتها ترفع شصها متلهلة بسمكة كبيرة واجتمع حولها الآخـران
يمشاهن بالصيد الثمين ... وتذكرت وقتها قصبي فلم أجدها بيدي ولا بجاني
لقد تركتها تسقط إلى الماء ، وبحشت عنها فوق سطحه فلم أجدها ووجدت أن
قدمي قد تدلى إلى الماء فتبلل واتسخ حذاءي الجديد ، فسارعت بإنتشاله وقت
أبحث عن الشص الذي فقدته ... كان زميلاها قد تواریا في منحني النهر
خلف تل مرتفع من الغرين سعيـا وراء الصيد ، وسرت إليها وأنا أبحث عن
قصبي التي حملها التيار ، ورأيتها وهي تسحب شيئا بقصبتها ثم أخرجه فإذا بها
قصبي واقتربت منها هاتفا :

- هاللو ماريـا ، فأجابت بهدوء
- هاللو ... هل هذه قصبتك ؟ أجبت
- نعم ... فضحكت ساخرة وقالت
- يبدو أنك صياد ماهر ؟ فقلت
- كلا يا ماريـا إن الصياد الماهر لا يترك شصه يذهب مع الماء
- أحقاً ؟ قلت
- نعم ... إني الصياد الأحق الذي أغفل السمكة الكبيرة المنيذة
وهي في الشص
- إذا كنت تعرف عن نفسك هذه الحماقة فلم تتعب نفسك بالصيد ؟
- لأنني عطش جوعان يا ماريـا ، وهذا الماء الكدر لا يعطيني السمكة
التي أريدها فإذا خرج مع الشص غيرها ألقيتها من جديد إلى اليم لأنني في
انتظار الأولى التي أفلتها
- إذن عليك أن تنتظر وتجوع ربما طول العمر

— هذا مستحيل فان الصيد يحن لصائده وإلا لما اقترب من الشخص صيد
— ولكن قد تكون سمكتك هذه قد أكلت حتى شبعت ولا يمكن
بعد أن ، يغريها طعم في شخص ، كما لم تعد تحن لصائدها الذي نبذها كما تقول
— هل نزعتنى إذا من قلبها ؟
— نعم

— هذا مستحيل فلتمنحنى فرصة أكفر فيها عن خطيئتي ، لقد كنت
أحمق وقد لاقيت جزاء حماقتي ، وخيالها ظل يلاحقني وصوتها ظل يتابعني
ويسعدني ، واندفعت إليها فجأة واحتويتها بين ذراعي ورحلت آكل شفتيها
في قلبي ، فراحت تمليل وهي تحاول الإفلات حتى وانتهت الفرصة فنادت
بصوت طويل — رومللو ... فأفلتها من يدي وقالت بحدة

— هل جنت يا هذا ألا تعلم أني زوجة . ، فقلت بإصرار
— أعلم ... ولا يهمني أن أذهب من أجلك إلى الجحيم
ووصلنا وقع خطوات رومللو المقتربة وهو يقول
— حسناً يا عزيزتي هل اصطدت شيئاً ! فأجابت
— كلا ولكن هنا سيد يريد أن يتلقى درساً في الصيد ، واقترب الرجل
العجوز مني قائلاً

— آه إنك تواظب على الصيد وقد نحتك مراراً وأنت تصطاد فهل
اصطدت شيئاً !
— كلا للأسف . ، فقالت ماريّا

— ألم أقل لك إنه يريد درساً في الصيد . . فقال الرجل ضاحكاً
— لا تسخرى منه يا ماريّا فأخوك وأنا لسنا أسعد منه حظاً ولا أطول
منه في الصيد باعاً .

وأحسست بعدها بكبريائى تنهار ونفسى ترسف فى أغلال من الذل والهوان . . . أنها لم تعد نحنى بل لم تعد تحفل بى وحيى لها ليس فيه إلا تجريحى وتعذيبى ، وجلست أرقب فى الشجوب الثالوث المتناسك وهو يعود فى خطوات مرحة بينما كان صمت مثل صمت القبور بفرغ نفسى ، يثقل مشاعرى ورأيت خيالى المضطرب يشحب على صفحة الماء وقت أدب فى ظلمة الليل رافعا عني إلى السماء الخالكة هاتفا - رحماك أيتها السماء ورفقاني من هذا الحب واغثني من هذا العذاب الذى أتقلب فيه . . أطلق قلبى السجين من عقال هذه المرأة القاسية إلى مراعى الحرية الخضراء .

القلب المفتون

انقضى ما يقرب من عشرة سنوات على آخر مقابلة لى لماريا ، وأن ظننت أنى قد نسيتهما ، إلا أنها كانت ، تكمن فى عقلى الباطن وترسم فى خاطرى كلما فكرت فى النساء ، أو عبرت أمانى جميلة ، وكان عقلى يدفعنى دائما إلى الكتابة الكتابة عن الحب وعن الجمال اللذان حرمت منهما بعد فقدى لماريا ، فأصبحت الكتابة عندى هواية ، وأدخلت فيها عوامل التنسيق والتهديب ، فصارت فنا فأنا أكتب وأكتب دائما ولست أدري لمن ولم أكتب ، ولكنى كنت أظهر للنور رغباتى الحبيسة وعواطفى المتأججة وهى تتزاحم من أغوار الماضى البعيد لئلا بعض فراغ الحاضر الممل ، كنت أرى ابتسامتها على كل شفة تجيد فن الابتسام ، وكنت أرى عينيها فى كل عيني جميلتين حالمتين ، وكنت أحس بوجودها فى زهوة الربيع وترفق ، النسيم واسمع اسمها فى شقشقة الطيور وشدو العصافير بل كنت أراها بين الورود والزهور التى تتوج الأشجار وتكلكل ذوائبها . . .

واحترفت كتابة القصة فكانت هى ملهمتى أكتب اليها لأبثها شكواى

ونجواى والحرمان الذى أعانيه فى بعدها ، ورجواتى إلى الأقدار أن تلم
شملنا ولو بأعجوبة خارقة ، ولكن كنت أعرف أنه أمل زائف لا يمكن
أن يتحقق وقد نسيت هى فى لجة الزمن الطويل المتضارب ما ضيها أو تناسته
أما أنا فقد فقدت دائماً إذلاً أجدنى حاضرى ما يستحق النظر أو الاعتبار
أرتد إلى الماضى لأجتر منه الذكريات ، وكان يلى أحياناً أن أعيش معها
فى الخيال ، فأ تصور أنا قد تلاقينا مرة ومرات ، وجرعنا من كؤوس السعادة
والسعادات جرعة وجرعات . . . وأحياناً كانت تجوز على تلك الأكاذيب
فأصدقها وأسعد بها سعادة منقطعة النظير حتى لم أعد أدرك هل شقيت
بحبها أم سعدت . . . لقد قضيت معها فى أحلامى لبالي حمراء وصرفنا
سويعات الزمن المتضاربة ونحن نعب من دن الهناء . . . بالخيال إذ يسيطر
على بعض النفوس الحساسة فيضلها بين الحياة والآمال ، لقد كانت قصتها
وقد إختلطت بهذا (الكاموفلاج) الغريب قصة حب كاملة . . . حب وتشوق
واخلاص بينما تخفى حقائق القصة خلف هذا القناع الزائف بما فيها من غيرة
والم وحسرة . . . ولكن هذا التضييع فيه راحة للنفوس المعذبة الشقية تلف
به جراحاتها فلا تعود تشعر بها . . . دعيني أيتها الأقدار فى برجى العاجى
أو بجناحى الناعمين لا تصدمينى أو تقصصينى فإن أرض الحقيقة حصباء وما
اقساها على قدمى العاريين . . .

اللحن القديم

كنت أقضى فترة الصيف بالأسكندرية ، وذات أمسية كنت اذرع شارع
الكرنيش وأنا استلهم أمواج البحر المتضاربة وأنسامه المتواردة موضوع
قصة جديدة ، ووصلت إلى منحى يغمره الظلام قليلاً فوقفت أنصت إلى
صوت البحر وهويلاطم الشاطئ ، وينهش عنقه بمخالبه القوية ، وأرقب أنوار
المنار وهى تشق حجب الظلام المتكاثفة فوق الأمواج الثائرة ، وفى لمعات
خاطفة تصفع أمواجه المتلججة ، وهى تحاول عبثاً أن تطارد ما يجثم فوقها من
أسرار . . . هدير يعقب هدير ، وتل ينبسط فى أثر تل ، وموجة تلاحق موجة

والسنة الأمواج البيضاء تعلق الشاطئ مزبده ، والمعركة بين البحر والشط
على أشدها . . . وصاغت أذن بغتة أنغام ناعمة حملتها إلى الرياح وارتدت
بها سريعا من حيث أتت . . . وأحسست بالشاعرية تتملكني فاذا بي أسبح
فوق اللجج المتضاربة فارتفع بين ألسنتها أو أهوى بين أحضانها ، ثم لم تلبث
الانسام ان اختطفتنى من جلال البحر ، إلى وداعة البر حيث الهدوء والامن
بعيدا عن معركة الماء المحتدمة ، وارتد بصرى إلى المنازل بأضوائها الخمرية
فازداد حنينى إلى الدفء والسلام ، وصافح أذن النغم الناعم من جديد يتضوع
برائحة العطر والخمر والشباب ، وقبل أن تعود به الرياح كنت أتبعه إلى حان
(بلالا يكا) على الجانب الآخر من الطريق ، وراحت الأنغام تزداد وضوحا
وأنا أصعد إليه الدرجات القليلة ، وأخيرا وجدت نفسى فى غمرة من الضوء
والنغم ، وزحمة تموج بالراقصين تتحرك فى هدوء وانتظام ، وقد سما بها النغم
الدافئ الوديع فلم تعد تحس بخطاها . . . كل عين فى عين . . . وكل مهجة
تتابع قلب . . . وكل روح تهيم بروح ، بينما وقفت وحيدا أرى السعادة
ولا أدركها ، وأحس بنشوتها دون أن أجرعها ، أحمل فى جنبى مزيج من الوحدة
والوحشة والألم . . . وانتحيت إلى مقعد بعيد أرقب موكب الحياة ، وهى
تزف إلى عرسها فى ليلة سعيدة مرحة ، بل فى ليالى ترجع بها إلى الأزل وتمتد
بها إلى الأبد . . . وأخرجت من جيبى قصاصة من الورق رحت أطبع
عليها مشهد هذا الحفل ، ونسيت الجو الصاخب من حولى واندمجت مع
قصاصتى . . . عينا فى عيني . . . وقلبا يخفق مع قلبي وروحي تنسكب فى
فى روحها . . . وأفقت على صوت تصفيق حاد ، وقد انفرط عقد المتراقصين
وشخصت أبصارهم إلى غانية تنخر فى رداء وردى إلى حلقة بالقرب من الفرقة
العازفة . . . واستأنفت الموسيقى همساتها الناعمة وتساندت الصدور وهى
تدور بالخصوص . وعدت أناجى قصاصة الورق التى أمامى من جديد . . .
وانسابت إلى أذن آهة طويلة عميقة أحسست لها ما يشبه النار الآكلة فألقيت

بالقلم كى يتصفح السطور القليلة التى كتبها وتطلعت إلى المغنية التى اثارت
كوامنى . . . شفاهها الممتلئة الشهية . . . وعينها الواسعتين المعبرتين . . .
والنظرات العميقة المتسائلة . . . والشعر الذهبى المهدل الطويل ، ثم الصدر
الصاحب الثائر وصوتها الدافئ . الحنون وهى تقول :

اكره ان تؤذن شمسى بالمغيب . . . ، او يدب فى عارضى شحوب
الذبول ، فانا زهرة برية لا اخاف حر الهجير . . . او امل الفراش وهو
يعتصر منى الرقيق . . . قد فتحت للشمس قلبى ، وملأت بالهواء روحى . . .
وصبغت بالألوان كاسى ، كى اغرى واسكر واسي .

وبغته وجدت نفسى أعود عشر سنوات إلى الوراء . . . ذلك الصوت
الدافئ العميق ، لم أسمعه قط من شفاه غير شفاه ماريا ، وتذكرت نفس
الشفاه وهى تهمس فى أذنى فتسكب أغنيتها فى مشاعرى . . . ولكن هل
يمكن أن تكون هذه ماريا؟ . . . نفس الجسد اللدن المخروط ، ونفس التقاطيع
الجذابة الصارخة ، ما عدا خلاف يسير فى لون شعرها . . . ولكن كيف
تركت حياتها الزوجية لتحترف الغناء ؟ ، وماذا يدفعها إلى ذلك وهى زوجة
التاجر الثرى ؟؟؟ . . .

وتأوهات الشادية من أعماقها ، وهى تقول اكره أن تؤذن شمسى
بالمغيب . . . ولكن ماذا أفعل وحياة الربيع قصيرة . . . وأقصر منها حياة
الزهور . . . ؛ وكانت الدموع تتألق فى عينها وهى تردد الشطر الأخير من
أغنيها ، وارتفع التصفيق يززع أركان الصالة ، وانحنى هى انحناء خفيفة
فتهدلت سبائك شعرها الذهبى الغزير حول وجهها ، وكدت أصرخ من
أعماقى ها اتفا (ماريا) ، وقد تواب قلبى بين أضلعي كالطائر الحبيس فكدت أثب
إليها ورفعت يدى ملوحا ، فنظرت تجاهى مستطلعة ، ورأيتها تغمض عينيها
وتفتحهما ثم ترسل إلى نظرة طويلة عميقة ، ولكنها إنحنى بغته مرة أخرى
وانصرفت على عجل . . . وحررت . . . هل يمكن أن تكون هذه ماريا ؟

إني لم أعرف لأخرى مثل صوتها . . . فهل نسيته ولم تعد تذكرني ؟ ! . . .
لا بد أنها أخرى تشابهها إلى حد بعيد ، واقترب من الخادم ، فسألته عن
عسى أن تكون السيدة التي كانت تغني فأجاب :
- إنها برباره ياسيدى ، ألم تعرفها من قبل ؟ . . . أنها مشهورة في جميع
ملاهي الاسكندرية .

إذن قد خاب ظني في هذه المرأة ، أن ذكريات عشر سنوات خلت
لا تريد أن تنقضى بعد ، وهي تلازمي وكأنها قد استقرت في باطني . . . ،
وبينما أنا في أفكاري هذه قدم إلى الخادم بطاقة قرأت عليها اسم (برباره
هانس) وعرفت في التو إنها من الشادية ، وعلبت البطاقة في يدي مترددا ثم
سألته عما يطلبه السيدة مني ، فابتسم الرجل ابتسامة مأكرة وكأنما قد أدهشه
غبائي . وهتفت قائلا

- أنها تنظرك ياسيدى في حجرتها . ، ماذا تريد مني هذه المرأة ؟ . . .
أنها صدى للماضي ، بل صوت أول عاطفة طرقت قلبي فأثقلته . . .
هل أذهب إليها أو لا أذهب ؟ .. ولكن هل لي أن أخشى على شيء ؟ ..
كلا سأذهب لأسبر سر ذلك الصوت بأصداؤه التي لا تغني ، وقت لا تبع
الخادم الذي عبر الصالة إلى ممر داخلي ، وتقدم إلى حجرة منيرة يقرع بابها
وهتف صوت نسائي من الداخل - أن أدخل ، فأدار المقبض وتبعته إلى
الداخل . . . كانت بربارة هذه تجلس إلى مائدة مستديرة واضحة ساقا فوق
أخرى ، وهي في ثوب مسائي مفتوح يكشف عن سافها المخروطين ،
وفي يدها لفافة يتصاعد دخانها ، وتأملتني بنظرة طويلة جامدة ثم أخذت
من لفافتها عددا من الأنفاس القوية ، ولم تلبث أن ارتسمت على وجهها
ابتسامة واهية وهمست .

- هالو (جميل) . . . ألم تعد تعرفني ؟ . . . ونظرت إليها دهشا

وسألت (ماريا) . . . ، فأشارت الى بالجلوس على مقعد مجاور
فجلست تملأن الدهشة وقلت

— ماذا عن بربرة اذاً ؟ !!

إنه اسم مستعار يناسب امرأة مثلى ، لا بد انك مُندهش لوجودى
هنا . . . اليس كذلك ؟

— حقاً انى فى غاية الدهشة ، فلم أكن أتوقع قط أن القاك فى مثل هذا
المكان !!

— ان لذلك قصة طويلة ، ولو كان لك علم بتفاصيلها لتوقعت وجودى
فى مثل هذا المكان

— وما هى هذه القصة ؟

— أتود سماعها إذن ؟

— طبعاً

— حسناً إذن . . . وسألت وهى تقدم لى علبة سجائرهما هل لك فى لفافة ؟

— حسناً . . . شكراً

— سألخص لك هذه القصة فى كلمات قليلة . . . وسحبت عدة أنفاس

عميقة من لفافتها ، ثم ألقت برأسها إلى الوراء وهى تستعرض شريطاً من
الذكريات . . . لم أسعد فى حياتى مع رومللو . . . فقد كان رجل أعمال
لا يفهم شيئاً غير العمل ، وبعد شهور قليلة من زواجى ، فكرت فى الفرار من
سجن الزوجية وعاوننى على ذلك ضابط شاب ، كنت تعرفت عليه أخيراً فهربت
معه ، ولكن اتضح لى أنه خدعنى ، وغرربى ليستولى على نقودى ومصاغى . . .
وخلصنى البوليس من قبضته عندما قبض علينا فى أحد فنادق القاهرة . . .
لم يصفح عنى رومللو ولم يغفر لى ذلتى ، بل صار يحقده على شديداً ، وأخيراً
طلقت منه وكانت هذه نهاية زواجى الفاشل . . . وسأقت الأيام إلى شاب
يدعى حلى راقه جمالى فراح يبدى لى من حبه وأخلاصه ما جعلانى بهنقى

فصادقته وقد ملأ الفراغ الذى خلفه رومللو . . . ولكن لم أكد أبشرة بأنى سألد له طفلا حتى اختنى وتبخر من حياتى تماما . . . لقد عرفت بعده الكثير من الرجال من كل نوع ومن كل جنس . . . ، وها أنا برباره الا ينطبق على هذا الاسم ؟

رأيت فى عينها مقدار ما تقاسى من ألم وتعانى من عذاب وتراوت لى وحيدة تناضل فى معترك الحياة القاسية، وما أقساها على فتاة غريرة أفسدها التدليل فدفعها لأن تبيع جمالها ودلالها للشيطان ، وأحسست بقلبي يتفتت من أجلها . . . وبغته سألت

— وماذا عنك ، فأنالم أسمع عنك منذ ذهابك لإلا قليلا . . . هل تزوجت . وأنجبت أطفالا ؟

— كلا

— ولم ؟ ! !

— لأن خيال امرأة واحدة ظل يملأ حياتى ، فخرمنى رؤية أية امرأة أخرى عداها . . . وصوتها أصم أذنى عن سماع أى صوت آخر فظللت أعيش لها وبها

— إذا كنت تحب هذه المرأة إلى هذا الحد ، فما الذى منعك من الحصول عليها ؟ ! !

— لقد حاولت ذلك ولكنها صدتنى ، وعرفت أنها تزعتنى من قلبها ، وقد ظننت أنها كانت سعيدة فى حياتها مع زوجها

— إنك تذكرنى دائما بالصياد الخائب

— نعم إنى كذلك لأنى أصررت على الحصول على السمكة الكبيرة التى كنت قد أفلتتها

— انتظرها إذا . . . لأن الصيد يحن إلى صائده . . .

— ربما تكون قد أكلت حتى امتلأت ، فلم تعد تحن إلى صائدها الذى نبذها

- كلا لا أظن ، فانها مازالت تذكر شكة الشص في حلقها فظلت دائما تفكر في صائدها . . . ، ولما اختفى شصه من الماء ، راحت تلتهم كل طعم في طريقها عليها تجد في أحدها صائدها . . . ولما لم تجد وقفت بالقرب من الشاطئ حائرة

- أحقا . . . هل دخل الإخلاص قلبها ؟

- نعم . . . بل أفنى الوفاء عمرها . . . كانت تراك دائما بقصبة فارغة وقد نبذت كل أخرى من أجلها ، وأحست بما تقاسيه من ألم وتعاسة ، ورأتك بين أسطرك وأنت تقف ظامئا جائعا ، وأنت تهمس من الماضي البعيد قائلا هذا الماء الكدر لا يروى غليلي ، ولا يعطيني السمكة التي أريدها

ورأيت قطرتين من الدمع تتألقان في عينيها وأحسست بمبلغ ادراكها وتألما فاطبقت على يدها اقبلها وهمست وهي تمسح رأسي

- (جميل)

- نعم ياملاكي

- الا زلت تحبني ؟

- نعم ، وكما لم احب أحدا من قبل

- هل نسيت اني امرأة ساقطة رخيصة ؟

- نعم . . . فمن منا بلا خطيئة

- أشكرك . . .

وظللنا لحظات يحرق كل منا في عيني الآخر ثم أشرقت الابتسامة في ثغرها وقامت ثم ألقت بفخذها العارية على حافة الطاولة لتلفحها أنفاسي المضطربة ، ثم راحت تهمس بالاغنية التي كان صداها يرن اذني . . . قبلني ثانية . . . وحبني إلى الأبد ، فإن لحظات الهناء عابرة . . . وسنوات السعادة ثوان . . . والدهر الذي جمعنا سيعمل كي يفرقنا . . . قبلني ثانية وحبني إلى الأبد . . .

ودع الأبد يبدأ منذ اللحظة . . . وانحنيت على ركبتيها أقبلها في نهم ، بينما كانت تمسح رأسى بيدها الناعمة ، ثم رفعت شفتى إلى شفتيها ، ولكنها أشاحت عنى بوجهها ، وأحسست بعاصفة قاسية تعصرها ، فوثبت على قدمى لأهمس خلف اذنها

— ماريا . . . ماريا . . . ، ولكنها لم تحول الى وجهها فسألت وأنا أدير وجهها الفاتن الى

هل أغضبتك ؟ . . . ماذا حدث ؟

وراعنى أن رأيت عينيها تفيضان بالدموع ، وقد ارتسمت على محياها شقاء مرير ، ورأيت الحسرة تعصرها ، فكدت أذوب الما وحرنا وهمست ثانية

— ماريا . . . إبتسمى . . . ما هذه الدموع . . . أهذا مجالها ؟ . . .
الا تشعرين بالسعادة بقربى ؟ ، ولما لم تجب قلت
إنى ذاهب إذن . . . فهمست هى

— يستحسن أن تذهب الآن . . . اذهب ارجوك ، . . . فوقفت حائرا فى تعليل تصرفها ، ثم سألت

— وهل وجودى يشقيك إلى هذا الحد ؟ . . . ما كنت أظن ذلك !!
وتلاحقت الدموع من عينيها فلم أحتمل منظرها وقلت : حسنا . . .
لاتبك . . . إنى ماض ، . . . ، وخطوت أولى خطواتى نحو الباب وأنا أشعر بالمرارة تقطر فى اعماقى ، وهمس هامس فى نفسى : يالك من شقى . . . شقى
تعس . . . ، ووقفت مترددا على مدخل الباب ، ثم القيت إليها بنظرة اخيرة ، وبغثة وجدتها تسقط من فوق الطاولة إلى الأرض ، وهى تصرخ تنادىنى
« جميل . . . جميل لا تذهب بالله لا تذهب » ، فوقفت مذهولا اتطلع إليها
واخيرا سألت

لماذا تريدین وجوی مع انه یشقیک ؟ . . . إنی ذاهب حتی لا اسبب
لك كل هذه الآلام ، ، ولكنها همست قائلة

، لا تذهب قبل ان تعرف ، ، وكان سرها حقا یشوقنی ، ویستهوینی فلم
تكن ماریا فی نظری كسائر النساء بل كانت ملهمتی ووحی ، فاردت ان
أعرف سر شقائقها وتعاستها ، وتمنیت لو استطعت مساعدتها . . . وتقدمت
فی خطوات وثیة ، واخذت بیدها المرفوعة ، ثم اجلستها علی مقعد بالقرب
من الطاولة ، وبدأ لی انها تتخلص سریعا من اشجانها ، وذهبت بسرعة تمسح
دموعها ، ثم عادت ومعها زجاجة من الخمر وكأسین ، وملأت لی كأسا ولها
اخری وقرعت كأسها بكأسی

، هذا نخب صداقتنا القدیمة . . . القرية الهادئة وصائد السمك ،

فلأت كأسها وكأسی وقلت

، هذا نخب فتاة السوسن الجمیلة واغنیتها الخالدة ،

وانتظرت حتی تحدثنی عما یحزننا ، ولكنها فاضت مرحة تتكلم عن
ذکریات الماضی السعید ، وعن أحلامها وآرائها فی ذلك الوقت ، وكيف
كانت الحیاة فی عینیها جمیلة جذابة ، حتی فی تلك القرية النائیة وتمنت لو تعود
كما كانت طفلة صغیرة مرحة ، لا تثقلها احزان الحیاة فقلت ، لیس للسعادة
اوقات او ازمة . . . إذ یمكن ان نسعد فی ای وقت وفی ای زمان ، فالسعادة
مجرد إیمان . . . وكان یمكن ان اكون سعیدا فی هذه اللحظة ، لو لم تطرحی
امامی احزانك ، ، وملأت لنفسها كأسا جرعتها بسرعة ثم قالت

ومن ادراك بأنی شقیة ؟ . . . إنی سعیدة وفی منتهی السعادة ، فما الذی

یمنعك من ان تسعد معی ؟ ،

لم اكن اكثر منها إقبالا علی الخمر فقد كانت لا تستطيع ان ترى الکأس
فارغة او عامرة ، وراحت ترقص وتغنی وتضحك ، ثم تعب من زجاجات
الخمر التی حملتها إلی المائدة ، فكنت انصحها بأن تقلل من الشراب ولكنها

كانت تسخر مني، ثم تملأ كأسى لتسكبها بين شفتي، حتى احسست بدوار في رأسي لكثرة ما اسقنتني من شراب . . . وفي لمحات خاطفة رأيتها تهوى إلى الأرض، فتعاملت على نفسي بصعوبة مبارحة مقعدي، ولكن خانتني قدماي وفقدت اتزاني وخيل إلى أن جدران الحجرة تدور دورات سريعة خاطفة، فتعلقت بحافة المقعد وأنا أنادي باسمها، ولكن خنجرقي لم تكن تعينني، وخيل إلى اني اهمهم مهمة غريبة . . . وقفت لحظة أحاول فيها أن اسيطر على مشاعري، ولكن المناظر كانت تتلاحق سريعة مختلطة تتدافع أمام عيني . . . سقف الحجرة وجدرانها وهي تتبادل الاوضاع ثم الأرض وقد حلت مكان السقف أو الجدار وأنا ناظر إلى كل هذا من علو شاهق . . . ولكن أينها . . . لقد كانت بالقرب من الطاوله ! ! وهل كانت الطاوله على الأرض أم في السقف ؟ . . . ولحت الطاوله وهي تدور أمام عيني وبدأ لي أنها نقلت إلى سماء الحجرة، وبالقرب منها رأيت ماريما وهي تختلج وتضطرب وارتمت على وجهها شحوب مخيف . . . رباه هل ماتت ؟ . . . وتشبثت بحافة المقعد حتى لا تغيب عن ناظري، وكانت ذراعها منبسطة بحطام الكأس التي كانت تجرعا، ورأيت بالقرب من رأسها بركة قانية حمراء، وبسرعة اختلطت الحجرة في ناظري من جديد، ولكنني اندفعت من مكاني في الاتجاه الذي ظننتها فيه، ولم تلبث أن خانتني قدماي فهويت إلى الأرض وقد أصابني صدمة قوية. ولكن لم أكن لأنسى منظرها والبركة الحمراء بالقرب منها، فقممت متحاملا وصرخت « ماريما، ولكن صوتي كان عجيبا كان اشبه بنداء آخرس ابله، وصرعان ماسقطت من جديد، واحسست بصدمات قوية تززع كياني وتحطم رأسي وجسدي . . . وعاودت محاولة القيام فلم تساعدني قدماي، فاقعيت على ركبتي ورحت أبكي، وبعد مضي زمن لا أدري مداه وجدت نفسي قادرا على الزحف إليها، لاتيحس جسدها الشاحب الذي لم يخل من حراره الحياة، ووقع بصري على البركة الحمراء وجهها الشاحب، وقد ارتسم عليه رعب شديد، فرجت أمسحه بقبلاقي أواه ؟ . . . هل هذه دماء رباه

ماذا دهاها . . . هل قتلت نفسها ؟

كانت تنفّس في صعوبة ظاهرة ، وصدرها يعلو ويهبط بشدة وهي تكافح من أجل نسبات الهواء ، وتحشرجت انفاسها وبدت لي كمن يَخْتَق ، فاحتويناها بين ذراعى وتمنيت لو أستطيع دفع السكّارة عنها

ماذا حدث . . . خبريني يا خبيثتي لِمَ لم تذكرى لي شيئاً من قبل ؟ . . . ربما كان في استطاعتي مساعدتك . . . هل جرعتى سما أم قتلتى نفسك ؟ ، ولكنى لم أرى أثراً لطعنة باى آلة حادة ، ورأيت جسدها يبلى العرق الغزير حتى صارت كالاسفنجة المبللة ، ثم راحت تسعل سعالاً قوياً ، وهي تفتح عينيها وفيهما ذلك الرعب القاتل ، وانبعثت من فمها كتلة من الدماء الحمراء المتجمدة ، وتلمل رأسها الجميل وهي تنظر الى نظرات محومة ، فصرخت

« ماذا بك يا خبيثتي . . . تكلمى . . . سأذهب لأحضار الطبيب
فراحت تهز رأسها سلماً ، ثم همست بصوت متقطع واه « جميل . . .
اذهب بربك . . . اذهب . . . انه الطاعون الأبيض . . . الا تخشى على
حياتك ؟ . . . فلما لم أتحرك ، اردفت تقول

أرجوك . . . اذهب وانج بنفسك . . . إني وباء . . . الاتفهم ،
رأيت وقتها الحياة يريقها وآمالها تنهار وتنطفئ أنوارها لتغمرها حلقة
قاسية ، ورأيت الموت ينشب أظافره القوية في فرائسه الغضة فيسلبها الحياة . .
إلا ما أتفه هذه الحياة . . . التى يسلبها المرض ليسلبها ليد الموت لقمة سائغة ،
وعجبت كيف استحل المرض الكريه صدرها الشهى وأنفاسها العطرة فزقه
وأحرقها . . . ولم أشأ أن أتركها وحيدة ، فلم اك أخشى الموت وقد قضيت
حياتى ، وحيداً شريداً لا أعرف لى مستقراً او ماوى . طريد الذكريات المريرة
الملحة . . . وخيل إلى إني أستطيع مساعدتها ، وحمايتها من الداء اللعين الذى
يأكلها كما تأكل النار الهشيم ، وبارحتى اثر المشروب فحملتها بين ذراعى لأرقدها
على مرقدها فنظرت إلى شاكرة ، ولكن لم تلبث ان اعترت وجهها سحابة

غائمة، وتقلصت عضلاته بشدة ثم سعلت سعلات قوية محومة، ورأتها تبصق
عصارة شبابها وحياتها، ونظرت إلى وجهي الحزين مرناعة وقالت برجاه
« جميل اذهب ... اذهب واتركني لشقائي ، ولكنني لم انحرك أو اغادر
مكاني ، ورأيت الدموع تتألق في عينيها المثقلة ثم تنساب غزيرة على خديها
ولتنتابها نوبة عصبية وصرخت

« لِمَ تصر على تعذبي ؟ ... ألم أقل لك أن تذهب ... فلم تصر على
البقاء ، وانحنيت عليها اهدئها وامسح شعرها الجميل وهمست

« ولكنني سأبقى ... فليس هنا ما يحول دون بقائي ، فقالت
« الموت ... الا تخشاه ، قلت

« كلا ... ما خشيتُه طول حياتي ،

— « إذن اذهب من أجل شبابك وآمالك ،

— بل سأبقى من أجل حياتي وحي

— ولكنك ستقتل نفسك بذلك وأكون أنا الجانية عليك

— كلا ... لا أظن ذلك ، فقد جنت على الأقدار من قبلك وربطت

قلبي بفلكك فلم أجد فكاكا ، وهاهي تجمعني بك في هذه اللحظة الشقية ، ..

فهل لي بعد ذلك أن أحاول الهرب ؟ ... إن الانسان لا يستطيع أن يهرب

من القدر قط ، فقد كان حي لك أبديا وليس في الحياة أبدين ...

ورأيت الأبتسامة تفيض من وجهها، وضغطت يدي بشدة ... واستطاعت

السعادة أن تنفذ من بين براثن الموت القاسية زمنا ، ولكن لم تلبث أنيابه

الحادة ان راحت تلتهم كلينا

دعوا قارب حياتنا يعبر الامواج العاتية ، ويصل سريعا إلى شاطئ

السلام ، فهو يعرف طريقه ولم يعد بحاجة إلى نوتييه أوربان ... إنه يعبر

طريقه الآن في امان ، وفي قلبه أشلاء من دماء وارواح وانسام

ابن بوهيميا



ارقص كاللهب على النغم الصاحب النادر

إذا سیر فی فحمتك ایها اللیل الحزین ، انشد الدفء فی الكأس أو الصدر
الحنون . . . ، اری تلك النجوم وهی تخفق بالنور فی سمائك المریده فأسیر
یدفعنی الشوق والحنین إلى المتعة المحرمة ، والرغبة فی اللهو وأنواع المجون
اعرف ان بین استارك لمرأة ، تنتظر وقلبا یخفق باللهفة الفائضة . . . فإذا

لاقيتها قضيت بين احضانها امسى ، او افنى بين ذراعيها يومى . . . إلى تائه
جريح وما أحن نفسها على نفسى ، وما أدفا هذا الصدر لصدرى . . . ، قد
انسى رطوبة الليل وخواء الجيب وتعاسة الحياة ، وهى تصفر بريحتها العاتية ،
وها انا بين احضانها اتنى ان افنى بها او يفنى العالم بنا ، وقد افيق فاشعر
بالنزوة الطارئة تلتهب فى حمية وفورة ، فأرقص كاللهب على النغم الصاحب الثائر
هاتنى ايها الساقى بكأس تلو الكأس ، ودعنى اجرع نخب حياة الليل التى
اذيب فى كحلها وخمرها شقائى ، . . . وقد طال لى الليل واشتد على الزمير فلم
يعد يدفنى كأس او ذراعى غانية . . . ، ورأيت النجوم اللامعة تهوى من
افلاكها افلة ، والسماء قد صارت مرعدة مكفهرة ، . . . فسرت فى طريقى
الى الظلمة القاتلة ، وروحي تتلاشى وتنهار كي يغمرها الضياع
لقد اصبحت ماضيا وذكرى ، وما خطرت لنجوم الليل عنى فكره ،
وثاستنى الغوان وجماليات النساء ، والنغم مازال راقصا والليل يطاول الصباح
وقد خبا من الليل نجمى الذى لمع . . . ولكن كم فى الليل غيره من نجوم ؟

الملاح التائه

لست ادرى أين تلقى المرساة ايها البحار العجوز !!! ، فالبحار امامك
كلها امواه والريج دائما نائمة ، والسماء الفها زرقاء او عابسة . . . دع لهذه
الأمواج ان تتناول ، ودعها تلطم وتنشأخ ، وان تروى بالرذاذ جسدك ،
واترك للريج ان تعابث شراعك المهزول . . . ، فلم يعد هناك بعد مرمى ،
وقد تقاصى الشاطئ ، ولم يبق لك الآن الا الفرار من حاضرك الممل ومستقبلك
الاسقيم . . . ، نعم اتركها لها انها تعرفه وتعرف كيف تصيره ، وها قد حفرت
له فى بطونها مقبرة واى مقبرة . . .

لقاء

يا زهرتي الجميلة ، كم أنوق إلى رؤيتك ، واشتعل وجداً وشوقاً إليك .
هل ما زلت بجمالك ؟! وهل ما زالت بك رائحتك العطرة ، ونضرة الربيع
الليانة ، ورونق الحياة الخلاب ؟؟

هل ما زالت بك الآمال التي حببتك إلي ، وإلى قلبي السجين ؟ . .
هل ما زال لك السحر الخلاب ، والروح المرح الطروب ؟
ها هي عجلة الأيام تدور ، وتتحول مع عقارب الساعة التي تحصى علينا
ثوان الحياة ، وقد ازدادت نفسى لوعة ، وبرح بها الجوى واستحكم فيها العذاب
ورحت أحلم أن أراك . . . ولو لمحة من بعيد فاطنىء ما قد اتقد في نفسى
واشتعل في وجدانى . وكانت الأيام تبخل على حتى بهذا الحلم ، فظل أملى
معلقاً حائراً يصطدم بالحياة والحسرات .

وأخيراً . . . لمحتك قادمة من بعيد ، وخلت أن الأيام حققت حلمي
وارتفع وجيب قلبي ، حتى ملأ أذنى ، فسلبنى إحساسى ، وأنفاسى ورحت أقترب
ونبدأ ونبدأ . . . لا تكاد تحملنى قدمائى وأخيراً . . . والجفيعته . . أهذا ما أبقتة
الأيام من زهرتى ، وهذا ما تركته في محبوبتى ؟ . . كيف حلت هذه العيون
الغائرة محل عيونها الساحرة ، وكيف ارتسم الفم الشاحب فوق فمها الشهي ؟
وكيف اختفت التفاحتان من خديها كي تبدلها ليمونتان ؟ . . أين روضتى
الجميلة وأين حديقتى الغناء ؟ . . أين ساحرتى الشادية ، وكيف غاضت فيها
الحياة ؟ . . أين أغاريد الطير وألوان الشروق ؟ . . هل كانت وهما قد ارتسم
في خاطرى ، أم رؤى بادت من ناظرى ؟ . .

حييتى لست أدري كيف إجذب بك أمسى ، وماتت فيك عواطف نفسى
ولم هجرت أرضى وقاطعت سقوى وحدبى ؟ . . ولم هجرت دنيائى إلى
دنياك ودنيا غيرى ؟ . .

ألا تذكرى أنغامى الناعمة وهى همس لك بحى ، وريشتى النابضة وهى
تسجل لك مفاتيح طيرى وزهرى ؟ . . ألا تذكرى أشعارى التى كنت أسكنها
فى أرضك فتروى مفاتيحك

لقد دالت دولتى بذهابك ، فلم يعد فى نفسى شعر أو غناء ، واختفت ألوان
الحياة الزاهية التى كانت تملأ روحى ، وقد دالت دولتى بذهابك ، والآن
فقط عرفت أنه قد دال معها جمالك .

رحماك يا إلهى فإنى طائر بلا فى وقيثار بلا نغم ، وريشة دون طلاء . .
لقد ضاعت دنياى وضاع فى

يصدر قريباً للمؤلف

شارع الانفس النائرة

قصة امرأة إنساق مع عواطفها الجامحة ، فدفعتها إلى السقوط

وهناك فى شارع الانفس النائرة

راحت تكرر من كؤوس المرارة والوحل

لإنقاذ حياة الرجل الذى خدعها

(وهناك فى ظلال الشارع وصلتني همسات ، وضحكات ناعمة

وزايت فى ظلال الطريق ، رجلا وامرأة ملونة)

على ضفاف البحيرة الزرقاء

بدأت الحرب وانتهت ، وجند كثيرون وسرحوا أيضا ، ولكنه ظل مجندا دائما لا يعرف متى ومن يسرحه ، فمنذ بدأت الحرب وهو يحبب الصحراء مع القوات البريطانية المحاربة ، فتمتع بالغطيط تحت قنابل وأزيز الطائرات في طريقه ، وعرف الشيع والامتلاء وهو محاصر في بني غازي ، وكاد يلقي الصديق العزيز عزرائيل في سبى براني ، وأخيرا تعطف عليه الأقدار (السلطات) فنقل إلى الاسماعيلية ، حيث أنس إلى البحيرة الزرقاء وأبتدأ يحلو الصدا الذي كان قد تراكم على قلبه وعينه ولكن هذا التعطف لم يدم به طويلا إذ لم يلبث أن نقل إلى التل الكبير ، لتحتضنه الصحراء من جديد بحر ها اللافح وجفافها الفظيع ، ولكنه ما لبث أن اعتاد الرمال وحياة الخيام ، ولم تعد المدنية في نظره إلا أملا في أن يقضى سويعاته في عالم مليء بالفساء اللاني نخلت منهن حياته ، وقد كان للمال أو قل للحاجة بريق جذاب ، ربطته برباط لا ينقصم بتلك الصحارى وحياتها الخشنة المجدبة .

حاول جاهداً خلال الزمن الذي قضاه أن يبني حياته ويندج كعضو في الهيئة الاجتماعية ، فيتزوج ويركن إلى عمل مستقر يؤهله لحياة هادئة في مدينة كالقاهرة ، بل حتى في إحدى قرى الريف الصغيرة ، ولكنه لا يعرف لم كانت تسد في وجهه المسالك ، وحتى الشركات رفضت أن تفتح بابها في وجهه ، وأخيرا استكن إلى حياة الصحراء ، واستكنت هي إليه فلم يعد يريد عنها بدىلا ، وألف الرمال ووهج الشمس ، ورياح الخماسين وبرد الشتاء القارس ، والحر اللافح ، بل لقد صار هو جزءا لا يتجزأ من هذه الصحراء فإذا ما رجع من عمله إلى مخيمه الذي يتأرجح كالشراع تحت ضربات الريح أو يرتعد كالطائر المريض ، خلع عنه حلته واستلقى وهو بملابسه الداخلية فقط ، على مرقده الخشن وسرعان ما يرتفع له غطيط منتظم يستمر إلى

الغروب ، وأخيراً يتقلب متكاسلاً وهو يتثائب بصوت مسموع يشبه الصراخ أو البكاء ، ويظل مدة وهو يتأمل سقف خيمه وهو ينتفض تحت ضربات الريح ، ثم يعتدل جالساً على حافة مرقده ، واضعاً ساقيه فوق الأخرى ويتثائب من جديد ، ويمر بيده على ذقنه الحشنة فيصدر لها صوت كصوت شعيرات الفرشاة ، وتمتد يده إلى قطعة من الجبن أو (البلوييف) في صندوق تحت مرقده ، يفرد لها على قطعة جافة من الخبز ، ثم يهتمها على عجل ويجرع ورامها عدداً من كوبات الماء ثم يتمدد وهو يتثائب بقوة على مرقده ، وبسرعة يواصل غطيظه من جديد ، فيعلو ويهبط كرشه المستدير ، بينما تسترخي بجانبه ذراعه القويان فيبدو كقرد كبير

إن حياته تسير على وتيرة واحدة ، ولكنه دائماً كان ينتظر المفاجأة التي ترك لها أن تغير مجرى حياته ، وتحولها عن طريقها المرسوم ، وجاءته المفاجأة فنقل إلى فايد ، فكاد يتذمر ويندب حظه السعيد ، الذي يدفعه دائماً من صحراء إلى صحراء ، ولكنه تذكر أن ليس أمامه سوى طريق واحد وهو القبول وإلا وجد نفسه في الطريق عبثاً يستجدي عملاً ، وأخيراً سافر إلى فايد وسرعان ما عاوده الذي صرع به الأيام والسنين ، وجعل له تاريخاً مع وحدات الجيش ، يبلغ العشرة سنوات ، قفز خلالها مرتبة من التسعة جنبات إلى الخمسة والأربعين .

جلس ذات يوم يحصى راتبه من الأوراق الخضراء والحمراء ، وسره وجود هذا المال للوفير ، وقبل أن يستسلم لشخير المؤلف ، طرأت عليه فكرة . . . كان الوقت ربيعاً والطيور تملأ الدنيا بشقشقتها السعيدة ، وخلا المعسكر من نزلاته ، فقد كان المال والشباب بولدان حمية لا تنطفئ وشوقاً محتدماً يغمر قلوب الشبان زملاءه فيها جرون كالطيور إلى الأراضي الخصبة حيث توجد أوكارهم العامرة بالحب والدفء والمتعة ، وجالت عيناه في المعسكر الخاوي بمخيماته المعزقة المهلهلة ، وهي ترتعد تحت ضربات الريح فأحس بالخواء

والفراغ يملآن نفسه ، ويمزقانها تماماً كتنك الخيمات ، وشعر أن حبلاً ممتدة
تربط قواده وتثقل عليه وهو يحاول عبثاً الفكك . . . لم لا يدخل عناصر
التجديد في حياته التي طغى عليها الملل ، وكادت تنالها الشيخوخة ، إنه لو خصص
لذلك جنبها واحداً من راتبه الكبير لم يخسر من أجل ذلك الكثير ، ولكن
إلى أى مكان يمكن أن يذهب ليقضى الويك إند ؟ . . . وخطرت له البحيرة
الزرقاء ، والمدينة الأوروبية القائمة بمنازلها القرميدية وسقوفها المثلثة ، . . . ثم
الفتيات من جميع الألوان والأجناس . . . البلوند (الشقراء) والجنجسة
(حمراء الشعر) والسمرات ، ثم دور طوها وخيالاتها العديدة . . . إنها
الإسماعيلية ، نعم يجب أن يقضى ليلته هناك حيث يسترجع ذكريات الماضي
التي انتهت عليها رمال الصحراء ، أو عصفت بها رياح الخماسين وهي في
صراعها مع مخيمه ، لتطير به (كالبراشوت) إلى عنان السماء .

نفخته نسائم البحيرة الزرقاء ، وبدأ شريط من الذكريات يمر في مخيلته
وجلس على مقهى يجلو صدم عينيه وقلبه ، وهو يخفق مع وقع خطوات الحسان
فهذه لها جمال هافروديت ، ولتلك جمال المأسوف على شبابه فينوس ، أنظر
إلى هذين الساقين ما أبدعهما ، وكيف كونا وصيغا ، ويذكر ما قاله الشاعر
وما لم يقله في وصف السيقان ، وأخيراً تسرى به نشوة عجيبة ، ويشعر أنه قد
أهاج كوا من شبابه المحزون ، وقد تمنى أن تكون له عشرات العيون
كي تتأمل وتدرس وتتمع ، وعشرات القلوب كي ترقص وتخفق وتأنم .

ولما استدارت الشمس وهي تتوهج توهج الشفاء ، تحت أهداب البحيرة
الزرقاء ، قصد إحدى دور الخيالة لمشاهدة قصة عاطفية عميقة ، امرأة أحببت
وأخلصت في حبها فراحت تمطر حبيبها فيضاً من حنانها . وأحس أن الحب
والحنان جنته المفقودة التي لن يهنا بدونها .

وحول الساعة التاسعة مساء انتهى العرض ، فلم يشعر بالرغبة في النوم
والغفط بعد ، ولكنه أحس بالخيبة والمرارة يعصران نفسه ، إن العالم مليء

بالقلوب المتحابة المخلصة، أما هو فوحيد ما عليه إلا أن يعبس للحياة، فتسخر منه ويلاطمها فتلطمه، وليس هناك من يهتم به أو حتى يعطف عليه فإبال من يضحى من أجله... ونظر حوله في الطريق فاذا كله خصور وصدور متساندة تسير في خطواتها بطيئة متقاربة، والنشوة تنشلها من عالم هذا الكون إلى عالم غير منظور.

خلبته تلك المناظر وسرى سحرها في كيانه، فراح يدب على غير هدى، وهو يحتر الذكرى والنشوة...، فهكذا يتقدم الليل ويزداد المحبون التصاقاً، حتى إذا ما استكن الليل إلى أحضان السكون، ذابت كل نفس في الأخرى وكل مهجة تلمغم قلب، فاذا ما أشرق النور درجت على الأرض كائنات حبيبة صغيرة تملأ الدنيا صياحاً ومرحاً.

كان يتوق أن يتمتع عينيه بالحلب الدافئ العميق، الذي يستكن بلا حركة أو التفاته، وقد التفت الجسدان كل منهما على الآخر فصارا نفساً تطلب وأخرى تستجيب... لقد ساقته قدماه من قبل ليرى ذلك المنظر، الذي كان له في خياله أثر عجيب، عندما ساقته قدماه ذات أمسية إلى شاطئ البحيرة الزرقاء، خلف الأحراش التي تنمو على شاطئها، فاستدار إليها ووقع خطواته يمزق السكون وتكاثف الظلام يبعث في قلبه الرهبة...، ولكن مم يخاف فالحياة والموت لديه سيان.

وهناك بالقرب من الأحراش، وفي نفس المكان السابق، لمح شبحين يستتران في الظلام، فسار مقترباً في خطوات وثيدة واثقة وفجأة طرق أذنيه صوت جاف يقول: إسمع... فاستدار على عجل... ولمعت في الظلام فوهة مسدس صغيرة، وبرز له رجل من بين الأحراش أمراً: نقودك... سار وهو خالي الوفاض يسب ويلعن خياله المفاجيء، الذي جره إلى هذا المكان المنعزل وجرده من نقوده، وجعله هكذا على الحديدة فلا يملك حتى أح الفندق الذي انتوى أن يبيت فيه، إنه لم يعمل حساباً للمال الذي

كان معه ، فلو أنه لا يخشى على حياته الغالبة ، ولكنه يخشى بالطبع على راتبه الذى عليه أن يتفق منه طوال الشهر . وتذكر صديقه القديم عزت الذى كان يعمل معه ، فسار إلى منزله ورحب به صديقه قائلاً :

— مرحى أبا خليل . . . يا ترى أى ربح هذه التي انتزعتك من صحرائك إلى هنا ؟ !

— إنه الربيع يا عزيزى

— الربيع ؟ . . . أظنك قد انقلبت شاعراً أو فناناً أو شيئاً من هذا القبيل

— نعم . . . نعم بما يؤسف له . . . ، أنا فى حاجة إلى نقود أيضاً

— نقود ؟ . . . يا للشيطان وأين ذهب راتبك ؟

— أنفقته يا صديق عن آخره حتى لم يعد معى رائيحتة

— يا للهول . . . إذن لا بد أن فى الأمر امرأة

— طبعاً . طبعاً . . . امرأة تدفع بسخاء كل ما معك مقابل نظرة من عيناها

— عيناها ؟ ولم لا تقل عينيها ؟

— لأنه ليس لها سوى عين واحدة ولكنها ذات تأثير عجيب

— عجباً أن تكون لها عين واحدة وفاتنة أيضاً . . . هل تتمتع بجميع

قواك العقلية

— طبعاً هل تظننى جننت ؟

— لا . . . بل شككت فى ذلك . . . ومن هى فاتنتك الحسنة هذه التي

سلبت منك ؟ . . . ، وهنا أجش مغامرنا الجرىء بالبكاء وهو يقول . . . غدارة

غدارة ، وفقر صاحبه فاه دهشة ، وقبل أن يتدفق فى سيل من الأسئلة ارتفع

من صاحبنا غطيطة المألوف ، واسترخت عضلاته وترك لصديقه أن يؤمن

بحقيقة نظرية دارون .

فهرسة المرأة نجارة عالمية

غانية من الريف

لم تسكن (فوزية) من فتيات المدن المتفرنجات، بل كانت قروية من أولئك اللواتي تراهن في فجر كل ريف، يحملن جرارهن ويسرن بها داهيات آيات في طريق النهر... نعم لقد حملت الجره وعرفت كيف تنصبها على رأسها وتتبختر بها في غرور ملكة متوجة

وقد كان من فضل (البلاص) عليها، أن استقام عودها وامتشق قوامها وقد تصلبت تحت حملها الثقيل، فتراها مرفوعة الرأس بارزة الصدر منتصبه العود. كما وأن الضيعة لم تبخل عليها بالجمال، فوهبتها البشرة الوردية الصافية والعيون النجلاء والابتسامة المشرقة التي تأخذ بالباب الكثيرين :

وقد كانت (فوزية) تعرف ما يجالها من تأثير وإغراء، لكثرة ما كيل لها من كلمات المدح والإطراء وعرفت أيضا أنها تعيش في قلوب الكثيرين من شبان القرية، وأنها موضع حسد كثيرات من شاباتهن فكانت كثيرًا ما تقع المعارك والمشاحنات بين شبان كفرها وشبان الكفور المجاورة، لأن أحدهم حاول أن يحظى منها بنظرة عابرة، يختلسها من تحت نافذتها، أو أسعده الحظ بملاقاتها، وكانت تجد في قلبها دائمًا متسعًا للجميع، وتعجب لِمَ يحاول البعض أن يحد من سلطانها، وقصره على شبان كفرها دون شبان سائر الكفور، ولم تغافل هي عما فيهم من فتوة وحيوية أولى باهتمامها، فكانت تحقد أحيانًا على شبان كفرها الذين يقفون في سبيل سلطانها، ولم يكن هناك أعظم من سرورها وفرحتها عندما تقف في نافذتها، ترقب المعارك الدائرة والصرعى الذين يتساقطون قربانًا على مذبحها.

ولجأه استراحت هذه القرى من المشاحنات والمنازعات المستمرة من أجل (ست الحسن)، إذ قرر والدها الانتقال من الكفر الصغير، إلى بلدة المركز حيث توجد المدرسة الابتدائية، التي كان يرسل إليها أولاده قبل مطلع الشمس

وجدت فوزية نفسها تقيم في البلدة، بين كثيرين من التجار والموظفين ، حيث توجد كثيرات من الفتيات الجميلات المهنديات وشعرت أنها ملكة فقدت عرشها وملكها. وقد نفيت في هذا المكان حيث لا يلفت جمالها أحدا، ولا يجمع حولها تلك المظاهرات، التي كانت تضعها في مستوى أسمى من مستوى غيرها من بنات جنسها، ووجدت أيضا أن الوسط هنا أرقى بكثير من وسط الكفر، فهنا التجار والموظفون الذين لهم مثل عليا للجمال، ومقاييس أخرى يحكمون بها على الجميلات مما يضعها في مصاف الفتيات العاديات .

كانت تصلها الصحف الصباحية تزينها صور نساء بلغن ذروة الجمال والكمال، فتشعر بالحسرة على ملكتها الضائعة، وذات يوم وفي نوبة من نوبات الآسى هذه التي ألت بها، قربت إحدى الصور الجميلة إلى وجهها، وقامت إلى المرأة تقارن بينها وبين جمالها، ولم تلبث أن انبسطت أساريرها ولمعت الابتسامة في ثغرها، فقد كان جمالها من النوع الساذج الذي لا يعرف تجميل ولا تصنيع بينما كانت الأخرى زدحم بهما وسألت نفسها - ماذا لو حاولت بعض هذا التصنيع ؟

كان لها من ماضيها ما شجعها على المحاولة، كما وأنها لا تستطيع الحياة دون أن ترى الرجال يخرون صرعى تحت أقدامها، وأنها إذا استطاعت ان تقرض سلطان جمالها هنا فستفرضه على المهندسين والأطباء والموظفين وأبناء التجار وهم طائفة تحالف عشاقها السابقين من الفلاحين الحفاة العراة .

وبسرعة قامت إلى صوان أختها، الطالبة بالقسم الداخلي بمدرسة المديرية الثانوية . . . ، أما هي فلم يكن لها غرام بالعلم والمعرفة، أكثر من أن تعرف عن نفسها كائنات لها تأثيرها القوي على الرجال . . . وفتحت الدرج وراحت تتأمل ما فيه، فهذه علبة (بودرة) وتلك زجاجة (مينكير) وهذا قلم (روج) فأمسكت به ، وراحت تتأمل لونه الأحمر الصارخ الملتهب واندفعت به إلى

مرآتها تخب في عناية شفتيها بلونه الناري ، الذي يمثل الشعلة التي تتأجج في باطنها .

وأخيراً وقفت إلى المرأة صديقتها العتيقة تستشيرها ، فعكست صفحتها وجهها المصنوع آية من آيات الجمال فقامت واثبة على قدميها ، وراحت ترقص وتدور في حجرتها والفرحة لا تكاد تسعها . . أليست فتنة للناظرين ؟ . . أليست أجمل بكثير من هذه الصور المطبوعة ؟ . . إذن فقد آن لها أن تسترد سلطانها العتيق وترجع على عرش أرفع من عرشها السابق .

ومن تلك الساعة خلعت فوزية رداءها الأسود الطويل ولبست الملابس الأفرنجية التي كشفت عن مفاتيها ، وجعلتها مطمع كل من يراها ، وقد وقع في غرامها أول من وقع طالب بالمدارس الثانوية راحت تستعيد معه غرورها وتسترجع به ثقتها بجمالها ، ولم تلبث أن نبذته وتركته بشقي بحبها . . وسأقت ليها الأقدار شاب من ذوى قرباها راعه ما رآه من تحولها وأناقته وفتنتها وبسرعة وقع في حبائلها فراح يحظى معها بأهنا ساعات الغرام ، وكانت هي تحسبه أولى بهذا النعيم من غيره من الغرباء ، فلم تكن لتبخل عليه بشيء وكان يسرها أن تعرف شدة رغبته فيها وكثرة إلحافه عليها ولكن لم يكد ينقضى زمن على هذا الحب حتى ضجرت نفسها بهذا الشاب الأصفر الهزيل ، وتاقت نفسها إلى رجل محترم توقعه في حبائلها ، حتى يهبها اسمه ويمنحها الحرية أن تفعل ما تشاء وتأمين شر تلك التقولات والتخرصات التي تنور دائما حولها : ورغم تنقلاتها وكثرة زياراتها لم تعثر على بغيها فهي إما تقع على تلميذ بالمدارس الابتدائية أو الثانوية على الأكثر ، أو موظف ذو زوجة وأولاد ، وكادت تيأس من موقفها وعجبت كيف تبور سوق الجمال ، وأخيراً سأقت الأقدار بغيها .

حدث ذلك عندما مرض والدها مرضا شديداً ، وذهب أحد إخوتها ليدعو الطبيب الوحيد الموجود بالقرية ، ووقفت هي على رأس الدرج تنظر الطبيب العجوز حتى تخبره عن حالة والدها ، ولكنها فوجئت بشاب طويل

القائمة حاد النظرات، كانت عيناه تلفانها من قدميها إلى هامتها فتراجعت مبتسمة، ولم تكن الابتسامة لتفارق شفتيها، وايسم الآخر مأخوذاً بابتسامتها ورقتها، وقال مقدما نفسه :

— أنا الدكتور منير، وقد حللت محل الدكتور شاكر الذي قام بالإجازة .

لقد شعرت وقتها بقلبي يدب ديباً عنيفاً، وأحست أن حياتها ستسلك منذ اللحظة طريقاً جديداً . ساعدته في سماع أنفاس والدها وعندما أمسك بيدها ثم نظر في عينيها وهو يريها في أي مكان يجب أن تضغط من ساعد والدها ليغرز محقنه شعرت أنها غابت في سكرة ووقفت تسائل نفسها عما إذا كان من مزاجاً أو أعزب . ، ولكن هل للمتزوج مثل تلك النظرات الجائعة الثائرة وتلك اللمسات الساحرة المثيرة ؟ لقد عرفت مثل هذه النظرات من قبل فهي دائماً في عيون الشباب العزب الذين تجوع عواطفهم إلى النساء . لم تتم ليلتها وراحت تتقلب في فراشها مسهدة وتمتيت ، لو كان رفعت قريبها بقربها فيسرى عنها وينسبها الدكتور منير مؤقتاً .

وفي الصباح أرسلت خادمتها له تبلغه بحياتها وتسأله أن يتكرم بعيادة والدها ، ولم يكن الشاب بأقل منها لطفة على زيارتها ورؤيتها ، وفي الحال ترك مرضاه وأسرع في طريقه إلى منزلها ، وهناك حظى بمشاهدة الفتاة التي تهتم كثيراً بصحة والدها، شاهدتها في أروع صورة فلم يستطع أن يحول عنها عينيه . وقد لعب جمالها بصوابه . . ، وتكررت زيارته بعد ذلك للمريض ، ولو أن أحداً لم يعطه أكثر من حق زيارته الأولى، ولكنه كان ينتظر مثل هذه الزيارة بفارغ الصبر إذ استطاعت ابتسامتها أن تملأ خياله وتسيطر على تفكيره وإدراكه .

وشفى المريض طبعاً بفضل عناية الدكتور منير الذي أرسلته العناية الإلهية لإنقاذ الأب الشيخ ، ولكن كان من نتيجة ذلك أن حزنّت فوزية

حزننا شديد آ لبرء والدها بمثل هذه السرعة، فانقطعت بذلك زيارة الطبيب لها وجلست ذات أمسية تفكر في موقفها : وهل انتهى دورها عند هذا الحد؟ ولكنها قرأت في عينيه غير ذلك ، وعليها أن تخطو الخطوة التالية ، وفتاة تبلجت أمامها فكرة . . . لم لا تقوم هي بزيارته أليس طبيبا في استطاعة أية فتاة زيارته للاستشارة ؟ وبسرعة ارتدت ملابسها واستأذنت من أمها كي تذهب إلى الطبيب، ليعالجها من الأرق الذي ألم بها في الأيام الأخيرة ورحبت أمها بالفكرة منوهة إلى (شطارة) الدكتور منير

وهكذا لم يكذبنته الطبيب من آخر مريض لديه حتى فوجيء بتلك التي خلبت له وأخذت عليه مشاعره، وبإبتسامة متبادلة قاده من يدها إلى حجرة الكشف ولم يكذب يغلق الباب خلفه حتى احتواها بلهفة متعطشة .

واظبت فوزية على (العلاج) الذي كان له أثر كبير في تحسن صحتها ومزاجها ، وقد سرها اعترافه لها برغبته في زواجها وعزمت هي من كل نفسها ألا تفلته أبداً من يدها ، وكانا في العادة يتعاملان كما يتعامل المحبين ولكنه كان يندفع في طريق اللهفة والنشوف ، فكان دائما يطلب المزيد ، وانتقلت المقابلات من حجرة (العمليات) إلى حجرة نومه الخاصة وكانت ترى في ذلك رباطا يربطه بها ، فلا يمكن أن ينساها أو يخلفها ، فهي تعرف أن إقامته في القرية مؤقتة وكان هو يزداد شوقا وولعا بها ، بل أصبح شارد الذهن يقضى سويعاته يحلم بها ، ويستعجل الزمن حتى يلقاها فأهمل مرضاه ، وارتفعت من حوله أصوات الاستهجان والاستنكار ، وصار الناس ينتظرون عودة الدكتور شاكر بفارغ الصبر ، لينقذهم من الإهمال الذي تورط فيه بديله، وسرفوزية أن تسمع وتلاحظ ما وقع فيه الطبيب المسكين وعرفت أنها قاب قوسين أو أدنى من أن تحقق أغراضها ،

وفوجئت ذات ليلة عندما أخبرها الطبيب بصوت حزين ، عن قرب عودة الدكتور شاكر وأنه أرسل إليه أن ينتظر عودته خلال هذا الأسبوع

فاعتراها وجوم غريب وشعرت أن الطير على وشك الفكك ، وأنها ستهزم في المعركة التي بذت عليها آمالها ، وفي الحال إغرورقت عينها وقد أحست بالهزيمة القاهرة تصدم خطتها وتقوض آمالها ، فراحت تبكي وقد أسندت رأسها إلى صدره ، فراح يمسح شعرها الكستنائي كما يمسح ظهر قطة مدللة ، وأحست في نفسها ثورة لأن تفعل كل مستحيل للاحتفاظ بما في يدها وجأفة أطبقت على شفثيه في قبلات ملتهبة وفي رغبة وحشية ضمه إلى صدرها . : وغابت الأنوار وتباطأ الليل ، وسكنت كل همسة ونسمة ، ولم يكن هناك في ظلام تلك الحجرة إلا الأنفاس الثقيلة المشتعلة :

ظلت أنها وضعت في يديه قيداً لا ينفصم ، ولكنها كانت مخطئة فإنه لم تسكد تشرق الشمس أو تفتح عينها على السكون الناعس ، حتى كان منير يتنأب ويتمطى ولم يكن له من قبل أن تذق عينيهِ طعم النوم أما ذلك اليوم فقد شعر كما يشعر جواد السباق عند ما يصل إلى نهاية الشوط ويعرف أنه آن له أن يستريح .

وعاد الدكتور شاكر ولكن الدكتور منير لم يستطع أن يفارق القرية إذ شعر أنه مرتبط بها برباط وثيق ، وقد حاول الفكك ولكن عبثاً ، إذ وجد أنه لا يملك غناء عن تلك المرأة ، فكان كلما أمسى الليل وركن إلى الوحدة يشعر بحاجته إليها ، وقد سأل زميله أن يعاونه أسبوعاً آخر لأنه وجد في ذلك مراناً كبيراً ، فسمح له بذلك عن طيبة خاطر ولكن لم تلبث عيني الشيخ المدربة الفاحصة أن أدركت ما ألم بزميله الشاب ، ثم ما لبث أن رآها في عبادته ولمس التحول الغريب الذي طرأ على صاحبه ، وذات صباح جلس الدكتور شاكر إلى مكتبه يكتب بعض التقارير إلى مأمور المركز ، بينما جلس منير خلف مكتبه وقد دفن وجهه في كفه شأن العاشقين ، وراح في تفكير طويل فيرسل إليه الطيب الشيخ نظرة مشفقة ، ثم لا يلبث أن يتخلى عن أوراقه ويسير بهدوء إلى زميله ، ويلبس كتفه فيفيق الآخر من عالمه المشتت ، ويرفع إليه عينين فيهما

مزيج من الحزن والتساؤل أو فيهما نظرة حيوان جريح . وسأل الشيخ وهو يدق النظر في عينيه :

— ماذا بك يا فتى ١٩٩ فيجيب الشاب متمللا

لا شيء . . هل ترى في شئنا غير عادى ؟؟

— طبعاً . . طبعاً إن كل إنسان يستطيع أن يراه ، فيجيب الآخر مراوفاً

— إنك تتوهم أشياء غير حقيقية

— أحقاً ؟ . . أنا طيب وأستطيع أن أفهم معنى الظواهر وأظنك

توافقنى على ذلك ١١٩٩

— حقاً . . ولكن ليس للطبيب أن يحشر عمله في علم النفس

— ولكن ليس هذا من اختصاص علم النفس الذى نتحدث عنه ،

ولكنه من دراسة الظواهر ، والمشاهد والاعراض التى ندرسها نحن فى مرضانا

— حسناً . . ولكن مرضى لا يدخل فى اختصاص الطب وإلا استطعت

أن أصف لنفسى شيئاً :

-- إذن فهى امرأة ١١١ فيطرق الآخر صامتاً ولا يجيب

فيقول الشيخ متمماً حديثه

— لم أكن أعلم أنك ضعيف هكذا أمام النساء ، ولو علمت لحذرتك ،

وحذرتك بالخصوص من إحداهن ، أعرف أنها تهوى اللعب بالرجال فيرفع

الفتى رأسه ويصرخ بحدة

— ماذا تعنى بكل هذا ؟

— امرأة . . . لا تخفى عنى الحقيقة فقد همست بها إلى الفلاحات

فى المستشفى هذا الصباح ، ولم أصدقن وقتها ولكن ما أن رأيتك حتى تأكدلى

صدق ما سمعت . . . إسمع . . . هى كاعب حسناء خفيفة مرحة . . لها إبتسامة

تدير الرؤوس . . . وشعرها يجمع بين الخمر والنور وفى عينيها حرارة

ونداء . . . وبشرها شعلة من سعير . . . أليست هذه هى ؟ ، فيطرق الشاب

يانسا وقد انكشف سره ويلحف عليه الآخر بالسؤال، وأخيراً يومىء برأسه موافقاً ويدور الشيخ فى الحجره ، واضعاً يديه فى جيبى سرواله هاتفاً وكأنه يحدث نفسه :

— كانت تزورك أثناء الليل ... أليس كذلك ؟ وتذيقك أنواعاً من المتعة لم تعرفها طول حياتك ... وهى تسكب فى أذنك كلمات الوله والهيام ... صارت هى كل دنياك وكل أحلامك ، وقد فتحت أمامك الطريق إلى السراب ... فعشت تحترق وتشتعل بالنزوة ... إنه طريق جميل ممتع ولكنه الجحيم المملوءة بالآلم والعذاب والأرق ثم الحرمان ... وإذا كنت لا تدرك خطر هذا الطريق الذى فتحتك تلك المرأة ، وفرشته بالورد ، فإنه عما قريب ستتموله الأشواك الحادة التى قد تمزقك ، . ظن الشاب أن صديقه فيلسوفاً راح يصف الأمر كما يترامى لخياله الخصب ، فنظر إليه وعيناه تعملان معنى الشك والتكذيب واستتلى العجوز قائلاً

— إنك لا تصدق ... وأعلم ذلك ولكن عليك أن تعرف إننا إذا قبلنا مهنتنا كأطباء ، علينا أولاً أن نقوم بخدمة المرضى المعذيين ، ولا نضيع حياتنا سعياً وراء الباطل ، وعلى الآن أن أقوم بزيارة مريض فهل توافق على أن تصحبني إليه ، فأوماً الآخر موافقاً ، وحمل الشيخ حقيبة الجلدية وخرج إلى الطريق وراح يدور ويلف فى حوارى القرية وأزقتها ، وأخيراً وقف أمام منزل تبدو عليه بعض مظاهر النعمة ، وراح يرق الباب ، وسألت عجوز عن للطارق ، فأجابها الشيخ ، وبسرعة فتح الباب وراحت المرأة ترحب بمقدمهما وسألها — كيف حال مصطفى اليوم ، فأجابت وهى تمسح الدموع التى انهمرت من عينيها :

— لم يتحسن بعد ياسيدى وقد ازداد هذياناً عن ذى قبل ، وأخشى أن يكون سائراً إلى الجنون

وراحت المرأة تبكى بينما تقدم الطبيب إلى حجره مغلقة وأدار مفتاحها

ففتح الباب وشاهد زميله منير إنسانا بل حطاما مكوما على الفراش لا يبدو منه إلا عيان ناربتا النظرات ، راح يأكل بهما الداخلين وقال الشيخ لزميله - لا خوف منه فهو لم يبلغ بعد ذلك الطور العنيف ، وجلس على حافة المرقد تحت قدمي المريض ، وأشار إلى زميله أن يحتل المقعد المجاور وبدأ حديثه قائلا :

- مسكين هذا الشاب إن كل ذنبه أنه خلق حسيا مرهفا ، وقد أحب امرأة من كل قلبه ومن كل عقله ، ولكنها لم تكن جديرة بحبه ، ولما عرفت غرامه وتعلقه بها بذته نبذ النواة ، ولم تحفل بقلبه الفتى الذى تفتح لها فراحت تذيبه أنواعا من الهجر والحرمان بل والغيرة والدنائة ، وأخيرا هأنت تراه صريع حبه صريع المرأة التى لم ترحم عاطفته وحبه القوى الجارف . الذى لم يعرف شيئا سواها ... يظل شارداً مفقوداً فى أفكاره البائسة لا يكاد يعي بما حوله شيئا أو يشعر أنه حى يتنفس فى هذه الحياة ، وإذا ما أفاق تراه يردد اسمها وكأن روحه تحترق ، ويظل الدمع والبكاء من عينيه . ولكن لا تلبث أن تحتطفه نوبة رحيمة من عذابه فلا يشعر أو يعي وقد تسألنى ... هل أظهرت هى شفقة أو عطفاً على ذلك الذى أحبها إلى الجنون !! ولكن الجواب على ذلك مع الأسف ... لا ... وعندما وصلها نبأه راحت تضحك وتهزأ قائلة كنت أحس بهذا الجنون فى حركاته فتعاشيته ، وهكذا خلعت من قلبها كما تخلع جوربها العتيق .

كانت الأم قد انتهت من تعقيم الحقن ، فجاءت به وقام الرجل بحقه بحقنة من (الانسولين) ثم ترك للشباب أن يحقنه بأخرى من الجلوكوز ، وبغته يفيق الشاب وتدور عيناه فى الغرفة دورات سريعة ، وتبحظ عيناه وهو يهتف فوزية ... فوزية وبأوه بشدة ويغيب فى عالمه البعيد .

شعر منير بقلبه يقفز إلى حلقه وأن الأرض تميد تحت قدميه ، ولولا أن سنده ساعد زميله القوى لسقط على الأرض وسار إلى الخارج وهو كالماخوذ

لا يكاد يشعر بما حوله ، ولم تلبث أنسام الريف الحرة الرطبة ، أن ردت إليه مشاعره ... إذن فوزية كانت المرأة ، وفوزية هي التي دمرت حياة مثل هذا الشاب ، وفوزية ذات القلب القاسى الذى لا يرحم ، ووجد نفسه يهمس إلى صديقه بالإسم الذى كان يطوى عليه حنا قلبه .

شعر بحقد على هذه المرأة المجردة من العاطفة ، وعجب لدموعها وعواطفها المصطنعة وأحس أن حقدته لو استمر في تلك القرية ، سيدفعه حتما إلى ارتكاب جريمة تقوض حياته ومستقبله .

في ذلك الصباح بلغ فوزية خبر أزعجها ، فقد أخبرها الممرض أن صديقها قد يرحل في قطار المساء فارتفعت لهذا النبأ المشثوم وواحت تفكر في طريقة تبقيه بقربها ووافتها الفكرة سريعا ... كان قطار المساء يصل في السادسة أما الآن فإنها لم تسكد تبلغ الرابعة بعد إذن فأمامها ساعتين تتدبر فيهما ، ولكنها لم تكن في حاجة إلى كل هذا الوقت الطويل ، فاندفعت إلى صندوق العقاقير تفتش بين زجاجاته المختلفة الأشكال والأحجام ، وأخيرا أمسكت بزجاجة صغيرة داكنة اللون ، تتأمل كمية العقار الصغيرة الباقية بها ، وفجأة يرتفع وجيب قلبها وهي تنظر إلى الزجاجة فزع ، وانطبع على وجهها الارتياح الشريد وهمست كلا قد تكفى هذه الكمية لموت ... وهبت إلى النافذة وسكبت بعضا مما في الزجاجة حتى لم يبق منها إلا قطرات قليلة ... لم تكن تريد أن تموت فإن الموت يفرعها ويخيفها ، وهي التي لم تعرف سوى السماء الصافية الزرقاء والخضرة الزبرجدية والشمس الباسمة الساطعة ، ثم الحياة بمتعها الكثيرة التي لم ترو منها بعد شبابها ، ولكنها كانت تلعب دورا من تلك الأدوار الكثيرة التي يلد لها أن تلعبها أو تمثلها ... ، نعم سيأتى على عجل ويعمل كل ما يستطيع لإنقاذها ، ثم يظل بقربها برعاها ويعالجها .

ووجدت من نفسها الشجاعة فرفعت الزجاجة إلى شفيتها ، وجرعت ما بها دفعة واحدة وأحست كاللهب تضطرم في جوفها ، وهنا فارقتها شجاعته ... ألا يجوز أن تكون هذه خاتمتها ، وأن الكمية التي جرعتها (من صبغة اليود)

كافية للتضاء عليها فتفتقد الحياة والدنيا التي تحبها!!!، وجأة نراها تصرخ وتستغيث وهي تبحث عن أمها مرردة... إنشجرت يالأمه انقذوني النجدة النجدة...
إدعوا الطبيب وبسرعة اشتد الهرج والمرج وأسرع الجميع لدعوة الطبيب بينما استلقت هي على مرقدتها، يسهكها الخوف والوهم فذهبت في غيبوبة.

قام الدكتور شاكر بغسل أمعائها وقال مطمئناً من حوله لا تنزعجوا فالكمية التي شربتها من اليود لا يمكن أن تضرها حتى، ولو لم أقم بغسل أمعائها وابتسم وهو يقول — إنها لما تجرع أكثر من قطرات قليلة.

وأفاق هي وفتحت عينيها وقد غمرتها فرحة غريبة لجواز حيلتها، وقد ضنت أن الدكتور منير هو الذي يقوم بعلاجها فحولت إليه وجهها، ولكنها أجفأت وأحست بأفطع من السم يسرى في كيانها وتأوهت وهي تشير بيدها سائلة — انت ؟

فأجابها الطبيب العجوز بابتسامة مأكرة

— نعم أنا ، لأن الآخر رحل في قطار الرابعة

شفيت فوزية أخيراً ووقفت فوق سطح منزلها تستعرض القرية الهادئة وسألت نفسها ترى من أين سيكون صيدها القادم . . أمن دار البريد ؟ ...
أمن محطة السكك الحديدية ؟ . . أم من بنك التسليف ؟؟ ووقفت حائرة تستعرض في خيالها شريطاً من الشبان والموظفين، ولكنها رأت فجأة إنساناً قصيراً يحمل حقيبة جلدية في يده وبضع يده الأخرى على صدره يخترق حقل برسيم، في طريقه إلى القرية وراحت تتأمل شعره الأبيض الذي يشبه ثلوج الشتاء ومشيته الوئيدة المتباطئة، وقد كان الشيخ يعاني أثناء سيره أزمة من أزمات الربو، وبحث في حقيقته عن قرص من (الافدرين) فلم يجد، فسار وهو يشعر بالاختناق يجاهد في كل خطوة وقد احتقن وجهه فصار كشمس المغيب، ونظرت هي إلى وجه الأحمر وأحست أن فصلاً جديداً قد تفتح تلك اللحظة في حياتها، وهمست بين شفيتها إنه صيدها الجديد الدكتور شاكر الرجل الخبير بالنساء.

نفس حائرة

أيها الشحوب المرتسم في صفحة الأفق . . . ، وبأيتها النار المشتعلة في
سويدائه ، هل آن للشمس أفولاً ، أم هي لحظة تسبق وقت البروغ ؟ . . .
هذه الأشجار مثقلة بشمارها ، والأنهار غاصبة بمياهها ، والطيور تنشد
أحلامها . . . ، أهنالك حياة في ظلام ، أم في إشراقه النور ؟ . . .
خبرني أيها السكون وقد فصلت وادى النور عن وادى الظلام . . . ،
فما هذا الشحوب . . . ، أهو شحوب الأمل ويقظة الحياة . . . أم هو
شحوب النهاية المظلمة ؟ . . . شحوب ستعود معه الحياة أم تحبو ؟ . . .
لقد قضيت عمري واقفاً بالضفة النائية ، ارقب ركب الحياة السائر وهو
يتعاقب ، فتغمري الشمس والسكنى لا أشعر بفرحة النور ، لأن قلبي يعيش
في ظلمات . . . ، وهذه أناشيد الطير التي كثيراً ما طرقت أذني لا نجد سبيلاً
إلى إسعاد نفسي . . . ؟ وهاهو موكب الليل البارد يزحف وينفذ إلى أعماق
نفسي ، فينشر فيها الرعدة الباردة ويحرك الألم الدفين ، وحوالي آلاف من
الأخيلة المتراقصة تثب في الظلام . . . ، فهذا أمل الذي اندثر وضاع ،
وتلك الآهة السارية هي صوت حي الذي تبدد ، وتلك الهولة المهمة هي
قلبي المحطم ، وهذه الشياطين المنقضية هي أشجاني وآلامي وطيف روحي
المعذبة . . . ، فهل تجد حياتي شروقا بعد غروب . . . ؟ وهل يمكن أن
يصرح في نفسي لحناً واحداً من ألحان الشباب ، وأن تحيا شجرتي اليابسة
فقسكنها الطيور وتغرد فيها البلابل ؟ . . .

إن ضوء القمر الفضى وهو يكسو كل كائن بنوره السحري ، قد طبع
لى وجهك على صفحة الماء المختلج ، في ابتسام وعبوس في فرح وحزن في
ضحك ثم بكاء ، فاسكب لك من دمعى قطرات حارة تدفئ لك الماء الرطب .

وهذا الليل الخداع لا يمكنه أن يبلغنى حقيقة حالك . . . ، فكيف أنت
يا من أحببت . وكيف حالك يا من ملكت قلبي ثم انتزعتني ؟ . . . إنه يسعدنى
أن أرقب خيالك فى هذه المرأة الحية ، أو هناك خلف الأشجار والتلال
أو بين الغيوم والسحب ، فأقف وحيداً أناجيك فى جلال الليل الساكن
حيث لا عزول ولا حسود... أنظرى إلى عيني وقد أضناها السهر وأنظرى
إلى وجهي الشاحب وجسمي الضامر وقد أضناه التفكير . . . لقد أحببت
فيك الحب الذى فقدته فيك وتلك العواطف التى ضاعت فى بعدك . . . أما
انت فأنا متخيل حجرة وردية الستائر تصرخ من خلها أضواء حمراء . . . ،
فقد سعدت ببعدك عني ولم تحفل بشقائى

لم احتجبت أيها القمر ؟ هل لتسحب الستر على معالم الكون . . . قأين
وجهها ، وأين ضحكها وأين وأين ريحها ؟ . . . لقد ضاعت منى فى الظلمة
وضعت أنا معها فى الوحدة فلا أجدها ولا أجد نفسى .

تصحيح الخطأ
وقعت عدة أخطاء مطبعية فلزم التنويه

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٢٢	وحدت	وجدت
٥	٢١	يورعها	يوزعها
٩	١٦	اليضا	اليضاء
١٠	٤	والصبحان	والصيجان
١١	١	اشفيف	الشفيف
٢١	١٣	لزوجيه	الزرجية
٢١	١٦	متفوقا	متفوقا
٢٢	٧	نحفز	تحفر
٢٢	١٧	يعد	يعد
٢٢	٢٢	الزلالة	الدلالة
٢٧	١	ميدان	ميناء
٢٨	٧	دقيق	دقيق
٤٠	٧	نشوه	النشوة
٥٧	٥	لأجد	أجد
٥٧	٩	المسوخ	الممسوخ
٥٩	٣	ارقب	أرقب
٦٣	٧	واحيانا	واحيانا
٦٥	١	يتصفح	يصفح
٦٨	٢٤	ما جعلني به ثق	ما جعلني اثق به
٧٢	٢٥	فرجت	فرحت
٩٢	٩	وواحت	وراحت

الفهرس

رقم	الموضوع	صفحة
١	التقديم	٣
٢	المقدمة	٤
٣	لغة القيثارة	٥ - ٧
٤	أغنية بوهيميا	٨ - ١٢
٥	متحف الذكريات	١٣ - ١٩
٦	نفرتي	٢٠ - ٢٦
٧	الروح الخالدة	٢٧ - ٣٣
٨	المدمرون	٣٤ - ٣٧
٩	على أبواب الجحيم	٣٨ - ٤٦
١٠	اللغز الغامض	٤٧ - ٤٩
١١	ماريا	٥٠ - ٧٤
١٢	ابن بوهيميا	٧٥ - ٧٦
١٣	لقاء	٧٧ - ٧٨
١٤	على ضفاف البحيرة الزرقاء	٧٩ - ٨٣
١٥	غانية من الريف	٨٤ - ٩٤
١٦	نفس حائرة	٩٥ - ٩٦